الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

المـــــوضـــوع:

التفكير اللساني عند ابن سنان الخفاجي من خلال كتاب " سر الفصاحة"

إعداد الطالبة :
نسيمة سوداني

إشـــراف:
د. نصيرة شيادي

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	أحمد دكار	**رئيسا**
أ.الدكتورة	فاطمة بور	**ممتحنا**
أ.الدكتورة	نصيرة شيادي	**مشرفا مقررا**

العام الجامعي : 1439-1440هـ/2018-2019م

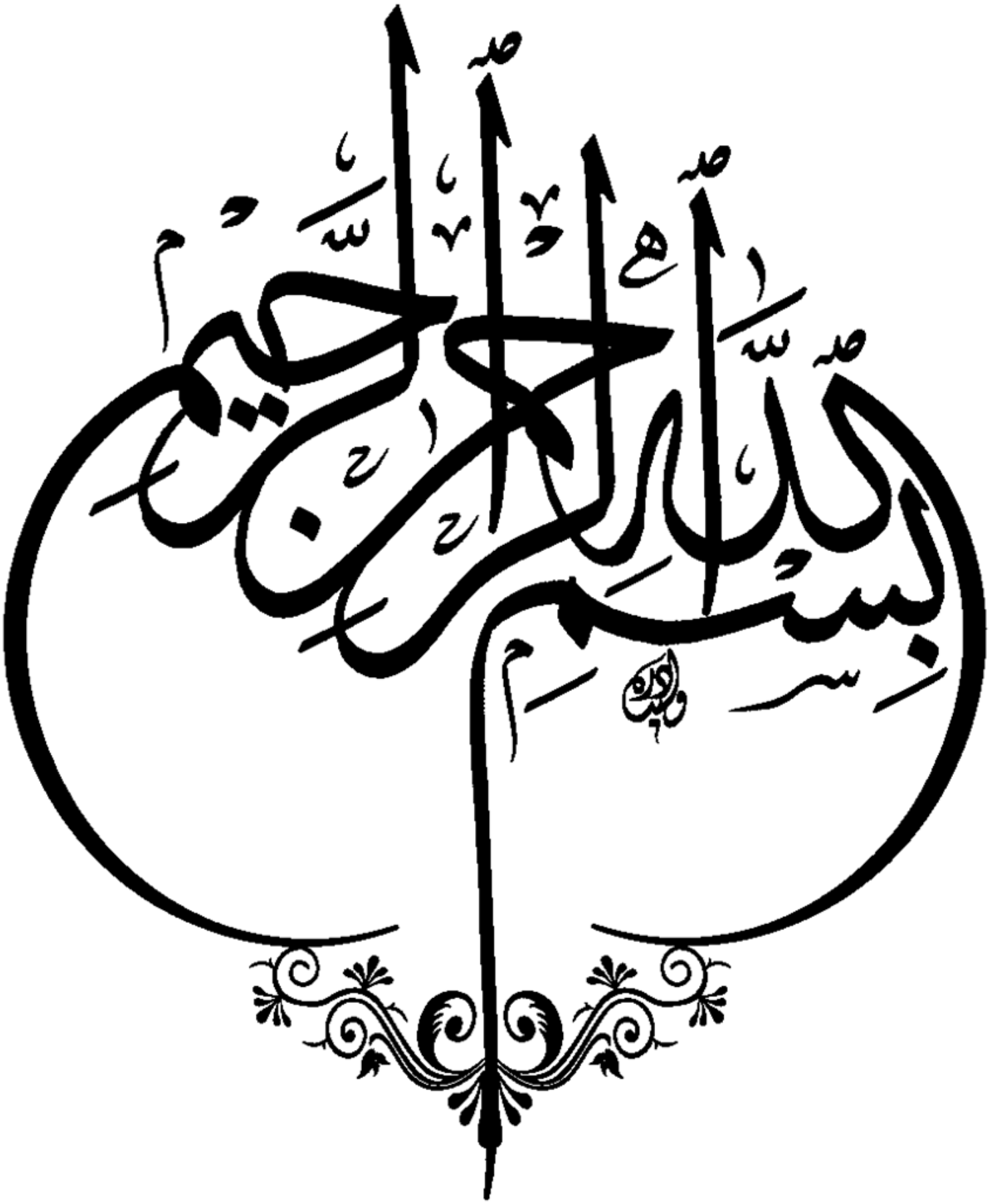
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الحبيبين الغاليين أمي وأبي حفظهما الله تعالى ورعاهما.

إلى أخي الحبيب وأخواتي الغاليات.

إلى الأستاذة الفاضلة "نصيرة شيادي" عرفانا بجهودها الكبيرة التي كانت سراجا منيرا لنا في هذا العمل

إلى كل من لقنني حرفا: إلى معلمتي الغالية على قلبي "إيمان بن عيسى"

إلى رفيق الدرب وشريك العمر

إلى عائلتي، أساتذتي، زملائي، وأصدقائي إلى كل من ساهم معنا في إنجاز هذا العمل.

إلى كل من نسيهم القلم و لم ينساهم القلب

أهدي هذا الجهد المتواضع

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

إنّ تاريخ جميع الأمم السابقة غني وحافل بالكثير من الدراسات اللغوية، وكان العرب مثل بقية الأمم، عمدوا إلى سبر أغوار لغتهم، وكل ما قدمه العرب منذ القدم هيأ لتشكل الدرس العربي الحديث, ولقد اتسم القرن الخامس الميلادي بظهور العديد من الدارسين والمفكرين العرب، ولعل من أبرزهم ابن سنان الخفاجي (ت466 ه) وكتابه"سر الفصاحة" الذي يعالج فيه مقاييس الفصاحة وآليات التعبير الأدبي واللغوي السليم، ولهذا الكتاب منزلة كبيرة عند الباحثين في العربية وبلاغتها ونقدها، لما يحتويه من أراء مهمة .

ولغنى مؤلَّف سر الفصاحة تولدت لدينا الرغبة لدراسة قضاياه اللسانية والغوص بين ثنايا صفحاته، قصد البحث فيه ودراسة محتواه من منظور لغوي حديث، فكان بحثنا موسوما بـــ" التفكير اللساني عند ابن سنان الخفاجي من خلال كتاب "سر الفصاحة" محاولة للمقاربة بين الفكر اللساني القديم ونظيره الحديث.

وقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع خدمة للغة العربية وتراثها لأنها لغة القرآن الكريم، وإدراكنا مدى أهمية تراثنا العربي ومحتوياته الغنية التي يمكن أن تكون أساسا لدراسات حديثة لا حصر لها، ومحاولة منا البحث في أحد مصادر التراث العربي وإزاحة اللثام عما فيه من كنوز معرفية، وقضايا لغوية قابلة لإعادة النظر فيها ودراستها من خلال معطيات الدرس الحديث، فبهذا نكون قد اكتسبنا فائدتين: إحداهما محاولة فهم التراث والأخرى إعادة طرحه وفق آليات لسانية حديثة.

والهدف من الدراسة يكمن في محاولة إحياء التفكير اللساني القديم بصيغة حداثية من خلال كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ذلك أن هذا الأخير – سر الفصاحة- على الرغم من أنه كتاب ذو توجه نقدي وأدبي وبلاغي، إلا أن صاحبه قد ضمنه العديد من

القضايا اللغوية واللسانية في علاقة فريدة من نوعها يجمع فيها بين الفصاحة والبلاغة والدرس اللساني، ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث المتمثلة في الجمع بين المعرفة التراثية التي قدمها لنا الخفاجي في مصنفه، والمعرفة اللسانية الحديثة.

فمن خلال ما سبق يمكننا طرح الإشكال التالي:

- ✓ ما هي أهم القضايا اللسانية الواردة في كتاب "سر الفصاحة"؟ وكيف عالجها؟
- ✓ هل يمكن المقاربة بين القضايا اللسانية الواردة في سر الفصاحة وبين التفكير اللساني الحديث؟

وأثناء عملية البحث وجدنا بعض الدراسات السابقة في هذا الموضوع، نذكر منها:

- مؤلف كتاب "سر الفصاحة" وحياته العلمية والأدبية ابن سنان الخفاجي، الأستاذ الباحث قدر إسرافيل إدريس.

- ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه "سر الفصاحة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في البلاغة الأستاذة درية ياسين عبد الرحمن أحمد، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009.

- التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي –قراءة وتوجيه– للدكتور معن توفيق دحام مجلة التربية والعلم، المؤتمر العلمي الدولي السادس لقسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، جامعة الموصل، نيسان، 2012.

وقد اقتضيت طبيعة الموضوع اتباع المنهج الوصفي و المنهج التاريخي، فأما الوصف فكان لدراسة القضايا اللسانية الواردة في الكتاب، أما المنهج المقارن فاعتمدناه لبيان العلاقة بين التفكير اللساني عند ابن سنان الخفاجي ونظيره الحديث. في حين اعتمدنا المنهج التاريخي لترجمة المؤلِّف والمؤلَّف.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة قسمنا بحثنا إلى مدخل ومقدمة وفصلين وخاتمة.

أما الفصل الأول فتطرقنا فيه إلى ترجمة المؤلف و محتوى المؤلَّف، والفصل الثاني أوردنا فيه القضايا اللسانية الواردة في "سر الفصاحة" وحاولنا إسقاطها على ما جاء به الدرس اللساني الحديث، وختمنا بخاتمة تضمنت جملة من النتائج تليها قائمة المصادر والمراجع.

ولمعالجة البحث وجب علينا اعتماد جملة من المصادر والمراجع نذكر على سبيل المثال:

- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي.
- التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة –قراءة وتوجيه- للدكتور معن توفيق.
- علم الأصوات ، للدكتور كمال بشر .
- ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية في كتابه سر الفصاحة، للأستاذة درية ياسين عبد الرحمن أحمد.

وكأي بحث، فإن بحثنا لا يخلو من الصعوبات من بينها قلة المصادر والمراجع التي تناولت قضايا اللسانية عند ابن سنان الخفاجي.

في الختام نحمد الله عز وجل حمدا كثيرا، ونتقدم بالشكر الوافر، والتقدير الخالص للأستاذة الفاضلة "نصيرة شيادي" التي كانت لنا نعم العون والمرشد، كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل للسادة أعضاء لجنة المناقشة على مجهوداتهم المبذولة بغية تصويب هذا البحث فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

نسيمة سوداني

2019-06-11

مدخل

توطئة:

حظيت الدراسات البلاغية بعناية كبيرة في الدراسات العربية، حيث اهتم بها الدارسون البلاغيون واللغويون على حد سواء.

ويعود الاهتمام البالغ الذي لقيته البلاغة من طرف الدارسين إلى كونها مرتبطة بالإعجاز، حيث كان الهدف الأسمى للدراسات البلاغية هو البحث في أسرار الإعجاز القرآني بالدرجة الأولى، ومن ثم أصبحت تهتم بدراسة جمالية اللغة وحسن نظمها وتأليفها وقد مر البيان العربي في نشأته بمراحل عدة خاصة في القرون الخمسة الأولى، ففي مرحلة النشأة والتي تبلورت ملامحها على يد أبي عثمان الجاحظ (ت255هـ)، والتي كانت فيها البلاغة والفصاحة تستعملان بمدلول لغوي واحد، وهو ما عرف باختلاط مفهوم المصطلحين تليها مرحلة الفصل بينهما لتأخذ الفصاحة منحى الاستقلالية عن البلاغة و على الغالب تبدأ هذه المرحلة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري[1] وقد بدأت مع أبي الهلال العسكري (ت395هـ) في كتابه "الصناعتين"، حيث يفرق بين المفهومين رغم أنه يبدأ حديثه بتأكيد المعنى المشترك الذي تحمله كل من كلمتي بلاغة وفصاحة في قوله: «إذا كان الأمر على هذا فالفصاحه والبلاغه ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف مفهومها لأن كل واحد منهما هو الابانه على المعنى والاظهار له»[2].

[1] : ينظر: مقاييس الفصاحة في القرن الخامس الهجري، محمود عبد الله الجفال، الجامعة الأردنية، دت، ص 149.

[2] : الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو الحسن بن عبد الله بن مسهل العسكري، تحقيق مفيد فصيحة، بيروت، لبنان، ط2، 1409هـ، 1989م، ص 7.

غير أنه يعود ويؤكد أن الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تخصص بالمعنى، وعليه تكونان مختلفتين، ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى[1].

والقول نفسه ذهب إليه ابن سنان الخفاجي (ت466ه) في مصنفه "سر الفصاحة" حيث كان تحديده للفصاحة دقيقا واضحا بأنها الظهور والبيان، وأنها مقصورة على وصف الألفاظ وحسن التأليف في الموضوع[2].

1. تعريف الفصاحة:

أ- لغة:

إن المتتبع للمعنى اللغوي لكلمة فصاحة في المعاجم العربية يجدها لا تخرج عن معنى البيان والظهور ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾[3]. أي أنه أكثر مني إيضاحا وأقدر على المخاطبة والإبانة و جاء في لسان العرب: «الفصيح المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيده من رديئه»[4]، «وأفصح الصبي في منطقة إذا هو فصيح من فصحاء وفصاح وفصيح، وهي فصيحة من فصاح وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين وقالت العرب أفصح الصبح إذا أضاء»[5]

---

[1] : المرجع السابق، ص 7.

[2] : ينظر: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط1، 1402ه، 1982م ، ص 31.

[3] :سورة القصص، الآية 34.

[4] : لسان العرب، ابن منظور الافريقي، تحقيق عبد العلي كبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، 186/11، مادة (ف ص ح).

[5] : القاموس المحيط، الفيروز الأبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، دت، 238.

يلحظ من التعاريف اللغوية أن مادة (ف ص ح) لا تخرج معانيها عن البيان والوضوح والظهور ففصاحة اللسان تعني قدرته على إبانة المعنى.

ب – اصطلاحا:

الفصاحة في اصطلاح أهل المعاني هي عبارة عن الألفاظ البينة المتبادرة إلى الفهم والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لما كان حسنها ولطافة موقعها و رشاقة تركيبها[1].

ويعرفها البلاغيون بأنها «الانكشاف والظهور والوضوح في الأشياء أما في الصنعة الكلامية فالفصاحة تعني انكشاف دلالة الكلام وظهور حسنه لمتلقيه»[2].

وتعرف الفصاحة أيضا بأنها «اللغة السليمة من الخطأ والتي تتفق مع الضوابط العامة والقواعد المفيدة لكلام العرب قديما»[3].

يوضح ابن الأثير معنى الفصاحة بقوله: «إن الكلام الفصيح هو الظاهر البين، وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتب اللغة... وإنما كانت مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم، وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها فالفصيح إذا من الألفاظ هو الحسن»[4].

---

[1] : تسهيل البلاغة، ابن عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشري، رفع عبد الرحمن النجدي، دار الإيمان، الاسكندرية، 2006، دط، ص 10.

[2] : الكافي في علوم البلاغة العربية – المعاني،البيان، البديع- عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتوي، الجامعة المفتوحة 1993م، دط، ص 26.

[3] : الفصاحة واللحن في اللغة العربية، كريمة أوشيش، مركز البحث العلمي والتقني لتصوير اللغة، دت، دط، ص 26.

[4] : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة مصطفى البابي الحلبي و اولاده ،مصر، دت، دط، 1/

ويبين الجاحظ(ت255ه) حدود الفصاحة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفا، واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا من الاستكراه، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف: صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأتيب مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة»[1].

وبذلك يكون الجاحظ قد أشار إلى شرط آخر في الكلام الحسن وهو الإيجاز والوضوح وشرف المعنى واللفظ وكذلك البعد عن التكلف والاختلال.

فالفصاحة إذن ما كان سلسا لا يشوبه لحن ولا عجمة وتتبعها سلامة في النطق وطلاقة في اللسان وهي ظهور دلالة الكلام وبيان حسنه لمتلقيه.

2. مجال الفصاحة:

تتخد الفصاحة من الصوت مجالا استعماليا واسعا لها: ذلك أنها حينما دخلت ميدان الدراسات البلاغية ارتبطت بلفظة بلاغة، ما جعل المتقدمين في الدراسات البلاغية أمثال عبد القاهر الجرجاني لا يفرقون بينهما – الفصاحة والبلاغة- وإنما اعتبروهما ألفاظا مترادفة يجتمع في دلالة واحدة تمثلت في الإبانة عن المعنى وإظهاره، ويكون مرجعهما النظم الأسلافي دون

[1] : البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، دط، دت، 1/

الكلمات المفردة «لأن الألفاظ تثبت بها وخلافهما في ملائمة معنى اللفظة التي تليها»[1]. داخل البناء التركيبي.

إلا أن المتأخرين ممن اهتموا بالمفردات والتراكيب الأساسية وعلى رأسهم ابن سنان الخفاجي إذ يخرج الفصاحة من كنف البلاغة ويجعلها «مقصورة على وصف الألفاظ»[2]. وبهذا تكون الفصاحة وصفا للكلمة والمتكلم والكلام، ومن ثمة تعد جزءا من البلاغة.

وإذا ما تبينا حقيقة الفصاحة من خلال التعاريف اللغوية والاصطلاحية «نجدها تعني وصف الحسن من الألفاظ ومنه فإن الفصيح من الألفاظ يكمن منه ولما كانت الألفاظ في حد ذاتها أصواتا معبرة، كان المستلذ من السمع هو الحسن، والمستكره منه هو القبيح، ومن هنا نكتفي بالتركيز على أن الفصاحة إفصاح وأنها فصاحات باعتبار الميادين التي يمكن أن تعتمد فيها لتأدية وظائف مختلفة»[3]، تفصح عن الأفكار ومكنوناتها بأصوات لغوية أساسها البيان المتجلي في حسن الأداء النطقي.

3. معايير الفصاحة:

ولما كانت الفصاحة تقع وصفا للكلمة –اللفظ المفرد- والكلام والمتكلم، فقد استن علماء اللغة جملة من المعايير وجب توفرها فيما يوصف بالفصاحة.

- أولا: فصاحة الكلمة:

هي صفة تتحقق بخلو اللفظ من عيوب ثلاثة هي:

---

[1] : دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، صححه محمد رشيد رضا، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت، دط، ص 38.

[2] : سر الفصاحة، ص 81.

[3] : العربية والحداثة أو للفصاحة فصاحات، محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإلامي، 1976، دط، ص 7.

- تنافر الحروف.

- الغرابة.

- مخالفة القياس أو الوضع.

أ- تنافر الحروف:

هو ما يوجب ثقلا في الكلمة وصعوبة في اللسان مما يؤدي إلى تلعثم في النطق ويعد الجاحظ أول الذين تحدثوا عن هذه القضية في كتابه البيان والتبيين فأوضح أن اللفظ ينبغي «أن يكون خفيفا على اللسان سهلا»[1]. فالسبك الجيد عند الجاحظ هو ما كان مترابطا سلسا سهل النطق غير متنافر الحروف، فالتنافر هو وصفا في الكلمة ينشأ عنه ثقلها في اللسان والسمع[2] وهو على ضربان:

- ✓ شديد الثقل: نحو قول الأعرابي حين سئل عن ناقته فقال: "تركتها ترعى العهخع*" وهو نبات ترعاه الإبل.
- ✓ خفيف الثقل: ومنه قول امرئ القيس يصف شعر ابن عمه قائلا[3]:

---

[1] : المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، خوري السيد عبد ربه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 2005، ص 156.

[2] : مدخل إلى البلاغة العربية، يوسف أبو العدوس، عمان، ط1، 2007، ص 43.

*:السين و التاء و الزاي حروف متقاربة المخرج مخرجها ينحصر بين أول اللسان و الثنايا العليا و الكلام الفصيح يبنى على التأليف بين الأصوات المتباعدة مخرجا ، ينظر الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، مطبعة نهضة مصر و مطبعتها ، مصر ،دت ، دط، ص 49.

[3] : جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق شربيني شريدة، در الحديث، القاهرة، دط، دت، ص 12.

*: الهاء والعين و الخاء مخرجهما واحد من وسط الحلق مما سبب ثقلا شديدا في نطق الكلمة و هذا ما جعل الكلمة غير فصيحة و غير مستساغة فالتأليف من حروف متقاربة المخرج أو من مخرج واحد يسلبها الفصاحة و البيان ، ينظر : الأصوات اللغوية ، ص 69.

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَات إِلَى العُلاَ تَضَلُ العِقَاصُ فِي مَتن وَمُرسَلِ

فكلمة (مستشزرات) بمعنى مرتفعات غير فصحة لأن أصوات السين والتاء والزاي أصوات متقاربة المخرج* وهو ما يوجب تنافرها،وقد أشار الجاحظ إلى أن اقتران الألفاظ بعضها ببعض ينبغي أن يبنى على نسق خاص، ونظم منسجم فإن اقتران الحروف في الكلمة أيضا مما يؤدي إلى انسجامها بحيث «تبدوا حروفها متآلفة ليس بينها تنافر: فالكلمة لا يجب أن تؤلف من حروف متقاربة المخرج فيؤدي ذلك إلى تنافرها، وثقلها على اللسان وتعسره عن أدائها»[1].

ولا سبيل لمعرفة حسن الكلمات وسلاستها وتمييز جيدها من رديئها سوى الذوق السليم والخضوع لأصول تأليف الأصوات في الكلمة.

ب- الغرابة:

وهي كون الكلمة خفية المعنى وحشية لا تخدم المعنى الذي وضعت له، ويكون ذلك لسببين هما:

- ✓ أن يكون اللفظ وحشيا قليل التداول في لغة العرب فتحتاج معرفته إلى البحث والتنقيب في المعاجم ومثال ذلك "تَكَأْكَأْتُم" بمعنى اجتمعتم من قول عيسى بن عمرو النحوي: «مالكم تكأكأتم عليّ كتأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني»[2]، ففهمها يحتاج إلى بحث في المعاجم وقد عاب البلاغيون على الشاعر استخدامه لكلمة (المسرج) لما فيها من غرابة في الاستعمال وكدا لاختلافهم في بيان معناها فقال بعضهم أن الشاعر أراد أن ينسبه لأنفها بالسراج لأنه مضيء مثله من قولنا "شرح الله وجهك" أي حسنه، في حين قال آخرون أنه قد يكون نسبه لرجل يدعى (شريج) كان يجيد صنع السيوف وقصد هنا (يا مرسن المسرج)

[1] : المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، ص 157.

[2] : المرجع نفسه، ص 14.

الأنف في حسنه كالسيف في الدقة[1] ولا تعتبر هذه الكلمة فصيحة لأنها خفية المعنى غير مأنوسة الاستعمال. تحتاج لبحث من المعاجم.

ج- مخالفة القياس أو الوضع:

وذلك أن تكون الكلمة مخالفة للقياس الصرفي أو موافقة له، نحو قول أبي النجم العجلي:

الحَمدُ للهِ العَلِي الأَجلَلِ الوَاحِدِ لِلفَردِ القَدِيمِ الأَوَّلِ [2]

فلفظة "الأجلل" غير فصيحة لأنها مخالفة لما ورد عن الواضع -القياس الصرفي- فالقياس هو إدغام المثلين(لَ لِ) فالأصح أن يقول:" العلي الأجلِّ" بالإدغام لا الفك.

- ثانيا: فصاحة الكلام:

تتحقق فصاحة الكلام بسلامة كلماته مما يبهم معناه ويخفي دلالته، زيادة على خلوصه من ثلاثة عيوب هي:

- تنافر الكلمات.

- ضعف التأليف.

- التعقيد اللفظي والمعنوي.

أ- تنافر الكلمات:

هو ما يوجب ثقلا في النطق بالكلمات مجتمعة مع بعضها ويكون ذلك باجتماعها أما إذا تفرقت فلا تنافر فيها ولا ثقل، ومن ذلك قول الشاعر:

---

[1] : مدخل إلى البلاغة العربية، ص 45.

[2] : تسهيل البلاغة، ص 13.

وَقَبرُ حَربٍ بِمَكَانِ قَفرٍ وَلَيسَ قُربَ قَبرِ حَربِ قَبرُ

نلاحظ في البيت من التنافر ما يوجب ثقله على اللسان وكراهة سمعه لمن ألقي عليه، فالقارئ لا يمكن أن يقرأه دون تلعثم أو تجلجل، وهذا ما يخرجه من دائرة الفصاحة.

ب- ضعف التأليف:

وهو أن لا يخرج الكلام عن قواعد اللغة المطردة وأن يسلم من الخطأ ومثال ذلك قول حسان بن ثابت:

وَلَو أَنَّ مَجدًا أَخلَدَ الدَّهرَ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ أَبقَى مَجدُه الدَّهرَ مُطعِمًا[1]

فالخطأ في البيت عند الجمهور هو عودة الضمير في (مجده) إلى (مطعما) جاء متأخرا لفظا ورتبتا لأنه مفعول به، فالبيت غير فصيح لمخالفته القواعد النحوية لتقدم الضمير على صاحبه لأن جمهور النحاة يجمعون على أن الضمير لا يجوز أن يتقدم[2].

ج- التعقيد:

وهو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة لا يخدم المعنى المراد به مما يوقع السامع في حيرة من فهم المعنى المقصود، والأصح أن الكلمات خادمة للمعنى لا العكس[3]، والتعقيد قسمان لفظي ومعنوي.

[1] : ينظر: البلاغة الواضحة البيان المعاني والبديع للمدارس الثانوية، علي الجازم ومصطفى أمين، دار المعارف، دط، دت، ص 6.

[2] : ينظر: مدخل إلى البلاغة العربية، ص 47.

[3] : ينظر: تسهيل البلاغة، ص 14.

- فالتعقيد اللفظي: هو كون الكلام مغمور الدلالة لا يحقق ما أريد به لخلل في تركيبه، بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب العاني لتقديم أو تأخير أو حذف ومن ذلك قول المتنبي:

خَفَجتُ وَهُم لاَ يَخفَجُون بِهَا بِهِم شِيَمٌ عَلَى الحَسبِ الأَغرِ دَلاَئِل[1]

فكلمة (خفجت) بمعنى (افتخرت) جاءت مبهمة لا يفهم معناها إلا بالبحث والتقصي، شكلت تعقيدا جعلها ثقيلة على الأسماع، كما أن الشاعر فصل بين الفعل والفاعل (خفجت) أبهم بالجملة الواقعة حالا (وهو لا يخفجون بها).

- أما التعقيد المعنوي: فهو أن يعمد المتكلم في حديثه إلى استخدام كلمات لا تخدم دلالة المعنى المقصود ما يجعل الأمر يلتبس على السامع، ومن ذلك استعمالنا لكلمة لسان في عدة مواضع وبعدة دلالات من بينها تعبيرنا عن لغة قوم بقولنا: لسان عربي على سبيل المثال، فهذا صحيح لا تعقيد فيه أما قولهم "بث الحاكم ألسنته في المدينة" بمعنى جواسيسه، فهذا فيه من التعقيد ما يخرج المعنى من دائرة الفصاحة[2].

غير أن بعض علماء البلاغة قد أردفوا معيارين آخرين لسلامة الكلام زيادة على ما سبق ذكره، وهما كثرة التكرار وتتابع الصفات.

فكثرة التكرار هي تكرار اللفظ الواحد مرة بعد مرة سواء كان اسما أو فعلا أو حرفا أو اسما ظاهرا أو مغمورا[3].

---

[1] : جواهر البلاغة، ص 32.

[2] : ينظر البلاغة الواضحة، ص..

[3] : الكافي في علوم البلاغة العربية، ص 35.

أما تتابع الصفات هي أن يكون الاسم مضافا إضافة متداخلة إلا أن ثلة من العلماء أجازوا هذين الأخيرين -كثرة التكرار وتتابع الصفات- إذ أنهما لا يخلان بالفصاحة دائما بل قد يكسبان الكلام حسنا وجمالا، وقد ورد كل منهما في القرآن وكان فيهما خفة وحلاوة[1].

ثالثا: فصاحة المتكلم:

هي ملكة قائمة في نفس المتكلم، يستطيع من خلالها التعبير عن مكنوناته ومبتغاه، وتمكنه من صياغة ضروب الكلام، وهذه الصفة لا تتكون وتترسخ إلا بكثرة الاطلاع وطول الممارسة والثقافة الواسعة، ومعرفة أسرار وأساليب العرب وحفظ كلامهم من الشعر والنثر والاطلاع على أحوالهم[2].

4. جهود العلماء في دراسة الفصاحة:

تناول العديد من العلماء مصطلح الفصاحة بالدرس والاستقصاء، وقد تفاوتت اجتهاداتهم وتعددت مشاربهم فمنهم من ربطها بالمعنى وآخرون ردوها إلى اللفظ، أو إليها معا.

ومن أعظم ما قيل في الفصاحة هو ما تطرق إليه الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"، إذ نراه يهتم كثيرا بالفصاحة وهذا ما يلحظ جليا في متن كتابه، فقد أفرد لها أكثر من باب، صور فيه رؤيته للفصاحة بمنظوره الخاص، فقد ربطها بسهولة اللفظ وابتعاده عن الغموض وبيان معناه والقصد منه -كما سبق وأشرنا في موضع سابق- ففي حديث له يقول: «ورأيتهم يديرون في كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها إلى يحيى بن يعمر فانتهرها مرارا، فقال لهيحيى بن يعمر: "إن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلقها وتضهلها" قالو: الضهل : التقليل، الشبر:

[1] : ينظر: مدخل إلى البلاغة العربية، ص 47.

[2] : مدخل إلى البلاغة العربية، ص 47.

النكاح، تطلها: تذهب بحقها، قال: "فإن كانوا رووا هذا الكلام لأنه يدل على الفصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة ... هذا ليس من أخلاق الكُتاب ولا آدابهم"»[1].

من خلال القول يتضح لنا أن الجاحظ قد أبعد كل هذا الكلام عن البلاغة والفصاحة لأنه يرى في ألفاظه (شكر، شبر، تضهلها) غرابة وثقلا رغم أنها ألفاظ من اللغة العربية القُحة، إلا أنهاا ثقيلة على اللسان غامضة المعنى، فالفصاحة والبلاغة عنده سواء.

ويقول أبو الهلال العسكري في مصنفه (الصناعتين: الكتابة والشعر) أن: «الفصاحة تمام آلة البيان»[2]، فهي عنده مقصورة على اللفظ فقط، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، وقد استدل على ذلك بقوله: «... والدليل على ذلك أن الألثغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف، وان يعبر عن الحمار بالعمار فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه... والدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى أن الببغاء يسمى فصيحا بليغا، إذ هو مقيم الحلوف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه»[3].

نلحظ هنا جليا أن أبا هلال العسكري قد فرق بين الفصاحة والبلاغة كونه جعل الأولى تختص باللفظ والأخيرة تتعلق بالمعنى.

وينهج القاضي عبد الجبار (415هـ) المنهج نفسه حيث يرد الفصاحة إلى اللفظ ويقول في شأنها: «إنما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه»[4] غير أنه أضاف أن الفصاحة إنما تكون في

---

[1] : البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، دط، دت، 377/1.

[2] : الصناعتين، ص 7.

[3] : المصدر نفسه، ص 7.

[4] : المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد أبادي، ت: أمين الخولي، 1961م، 1381هـ، دط، 197/16.

اللفظ مع النظم، فيقول : «أعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة»[1].

[1] : المصدر نفسه، ص 198.

الفصل الأول:

التعريف بابن سنان الخفاجي

أولا: التعريف بابن سنان الخفاجي:

1. اسمه ونشأته:

ابن سنان الخفاجي بلاغي ناقد متشبع من ثقافة عصره وهو الأمير العالم الأديب الشاعر أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحيى بن الحسين بن محمود بن ربيع بن سنان الخفاجي الحلبي[1]. وقد ذكرت المصادر التي ترجمت له أن أسرة ابن سنان هي من بني حزن أحد الفروع الكبيرة لقبيلة خفاجة العقيلية العامرية المشهورة. وهي قبيلة كبيرة لها تاريخها الحافل في الحياة العربية قبل الإسلام وبعده، وموطنها حلب الشهباء عاصمة الحمدانيين ومقر العقيليين والخفاجيين[2].وقد تغنى الخفاجي كثيرا بأجداده وأمجادهم إذ يقول[3]:

وَبِالشَّهبَاءِ مِن حَزنِ ابنِ عَمرُو بُيُوتٌ مَا رُفِعنَ عَلَى لَئِيمِ

وقال أيضا[4]:

بَنُو حَزنِ طَلَبنَا لَكَ العُلاَ فَلَم آخُذ تُكفَاكَ فِي طلب الفَقرِ

وقد تباينت أقوال المؤرخين له في تحديد تاريخ مولده بدقة إلا أنهم استطاعوا تحديد ذلك من خلال أبيات قصيدة نظمها ابن سنان سنة(443هـ)، يقول فيها[5]:

وَقُور إِذَا طَرَّقَتنِي الخُطُوب وَحَلَّ مِنَ الخَوفِ عِقد النُّهَى

---

[1] : فوات الوفيات، محمد شاكر بن أحمد الكتبي(764)، تحقيق علي محمد بن عوض الله وعادل أحمد المحمود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ط1، ص 572.

[2] : البلاغة في سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، عبد الحكيم يحي حاج عبد الله، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في البلاغة والنقد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، 1400هـ- 1980م، ص 12.

[3] : ديوان ابن سنان الخفاجي، تحقيق عبد الرزاق حسن، المكتبة الإسلامية، 1491هـ-1982م، ط1، ص 25.

[4] : نفسه، ص 36.

[5] : نفسه، ص 525.

بِعِشرِينَ أَنفَقتُهَا فِي الصُّدُودِ وُجِدتُ بِهَا فِي زَمَانِ النّوَى

ومنه يكون مولد ابن سنان تحديدا عام (423هـ) بقلعة (عَزاز) من أعمال حلب، وما يدعم هذا القول ويؤكده ما كتبه ابن بُطلان* إلى أحد أصدقائه عام (440ه) يصف له فيها أحوال حلب في رسالة طويلة، قال فيها: «إن فيها شابا حديثا يعرف بأبي محمد بن سنان الخفاجي قد ناهز العشرين وعلا في الشعر طبقة المحنكين»[1] وعلى ذلك يكون عمره عام (440هـ) ثمانية عشر عاما، فيكون مولده عام (224هـ) وهو قريب من التاريخ السابق[2].

2. حياته العلمية:

أخذ ابن سنان الخفاجي الشعر والأدب منذ صغره وارثا ذلك عن قبيلته، وما تلقاه من أقراو للقدماء ومجالسته لفحول الشعراء فقد كانت نشأته في بيئة تقدس العلم والعلماء، سببا في ارتواءه من ينابيع الثقافة العربية منذ صباه، وذكر أنه أخذ عن شيخه أبي العلاء المعري (ت449هـ) والذي تأثر به أيما تأثر، وأعجب بآرائه وأخذ بطريقته في النظم فنظم في الفخر والمدح منذ صغره، كما تأثر بحكمة المتنبي وفتن بشعر البحتري ومدحه.

كان ابن سنان يقيم بأطراف المعرة رفقة قبيلته ما جعله كثير التردد على أبي العلاء وتتلمذ على يده، ويعرض عليه ما نظمه من شعر، أين صار شعره إلى حلب نفسها، خاصة وأنه كان أميرا لقلعة عزاز بأمر من محمود بن نصر بن صالح بن مرداس أمير حلب، فراح ينظم الشعر في مدحه

*: ابن بطلان هو الحسين بن بطلان المتطبب، كان طبيب شديد التعلق بما ثقفه من أصول الطب اليوناني والمعارف اليونانية جملة، فأفرغ في مقامه كثيرا من الآراء الطبية والأقوال الحكيمة له كتاب "دعوة الأطباء" و"تقويم الصحة في الطب"، توفي سنة 223هـ معجم البدان، ابن عبد الله أبو عبد الله ياقوت الحموي، در الفكر، بيروت، دط، دت، 469/1.

[1] : ديوان ابن سنان الخفاجي، 284/2.

[2] : بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي، محمد عبد المنعم خفاجي،، المطبعة الفاروقية الحديثة، 1329هـ-1950م، ط1، ص 13.

وتغنى بأعلام حلب وعلمائها وأدبائها، وأخذ عن شيوخها وعلمائها، من أمثال: ابن جني (ت392هـ)،ابن خالوية(ت370ه) ، الفرابي(ت339هـ)، وابن سينا(ت 428هـ)، والمتنبي وهلم جرا بغية التشبع بالعلم والمعرفة، إضافة إلى أنه قرأ الشعر وحفظ بعضه وقد شرع في تأليف كتابه" سر الفصاحة" في تلك الفترة[1]وفي هذا المصنف الكثير مما يدل على قوة بيانه ورسوخ علمه.

من أبرز شيوخ ابن سنان والذي كان مولعا به بشدة هو أبي العلاء المعري (ت 449هـ)، وهذا ما يُلحظ جليا في كتابه سر الفصاحة حيث ذكره في عشرين موضعا في الكتاب، فكان يصرح به تارة ويلمح له تارة أخرى، وفي تصريحه به نجده يذكر: «وجرى بين أصحابنا في بعض الأيام ذكر شيخنا أبي العلاء بن سليمان فوصفه واصفا من الجماعة بالفصاحة واستدل على ذلك بأن علامة غير مفهوم لكثير من الأدباء فعجبنا من دليله وإن كنا لم نخالفه في المذهب»[2]، ويقول كذلك: «وهذا الذي ذكره أبو العلاء وسبق إليه»[3]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى ملازمة الخفاجي لشيخه أبي العلاء.

كما أنه أخذ عن طائفة من العلماء غير أبي العلاء، منهم: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، وسيبويه(ت 180ه) وابن جني، و الأخفش(ت 215هـ) و أبو العباس أحمد بن يحيى (ت291هـ)، وهؤلاء أخذ عنهم النحو في حين أخذ النقد والبلاغة عن ابن المعتز (ت296هـ)، وأبو بكر الصولي (ت 335هـ)، وعلي بن عيسى الرماني (ت376هـ)، وقدامة بن جعفر (ت 397هـ)، والقاضي عبد الجبار(ت 415هـ) «والذي جاء ذكره في

[1] : ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية من خلال كتاب سر الفصاحة، ص 8.

[2] : سر الفصاحة، ص 92.

[3] : نفسه، ص 133.

ثنايا كتابه حين أورد بعض القضايا الذي كان كتابه المغنى أصلا لها»[1]، كما أنه تأثر بكتاب الموازنة للآمدي (ت 381هـ).

ويمكن القول أن هؤلاء وغيرهم هم من شكلوا فكر ابن سنان الخفاجي والذي استطاع بحنكته وذكائه أن يوجهه وجهة سليمة لتأليف مصنفه "سر الفصاحة".

3. سمات المؤلف العلمية:

يمكننا استخلاص سمات ابن سنان العلمية من خلال مصنفاته وما وصلنا عنه ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1- احترامه لآراء غيره من العلماء، فهو يشكر صاحب الرأي ويحمد له صنيعه إذا اتفق معه، وإذا خالفه لا ينقص من شأنه شيء بل يلتمس له العذر، ويظهر هذا في قوله: «ومعاذ الله أن يخرجنا بغض التقليد وحب النظر من الطرف المذموم في الاتباع والانقياد إلى الجانب الآخر في التسرع إلى نقص الفضلاء والتشييد لما لعله اشتبه على بعض العلماء والرغبة في الخلاف لهم وإيثار الطعن عليهم، بل نتوسط إن شاء الله بين هاتين المترلتين فننظر في أقوالهم ونتأمل المأثور عنهم ونسلط عليه الذهن وترهف له ماضي الفكر، فما وجدناه موافقا للبرهان وسليما على السبر اعترفنا بفضيلة السبق فيه وأقررنا لهم بحسن النهج لسبيله، وما خالف ذلك وبيانه اجتهدنا في تأويله وإقامة المعاذير فيه وحملناه على أحسن وجوهه وأجمل سبله، وإيجابا لحقهم الذي لا ينكر وإذعانا لفضلهم الذي لا يجحد»[2].

[1] : ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية من خلال كتاب سر الفصاحة، ص 8.

[2] : سر الفصاحة، ص 156.

كما نلحظ رأيه هذا في تعقيبه على قول مسلم بن الوليد الأنصاري في البيت الآتي[1]:

سُلتُ وسَلَت ثُمَّ سُلَ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسلُولاَ

فيقول ابن سنان عند نقده: «ولو لا أن هذا البيت مروي لمسلم وموجود في ديوانه لكنت أقطع على أن قائله أبعد الناس ذهنا وأقلهم فهما، وممن لا بعد في عقلاء العامة فضلا عن عقلاء الخاصة، ولكني أخال خطرة من الوسواس أو شعبة من البرسام عرضت له وقت نظم هذا البيت فليته لما عاد إلى صحة مزاجه وسلامة طباعه حجده فلم يعترف به ونفاه فلم ينسبه إليه»[2].

2- التواضع: فقد بلغ ابن سنان الخفاجي من التواضع حدا لم يصل إليه غيره من العلماء، حيث يقول في كتابه: «وبهذا لست أدعي السلامة من الخلل ولا العصمة من الزلل واعترف بالتقصير وأسأل من ينظر في كتابي هذا بسط عذري والصفح عما لعله يثيره علي»[3].

3- أمانته العلمية في النقل عن غيره: حيث أنه لم يترك لنفسه رأيا بل ينسب كل ما هو لغيره لصاحبه، فقد كان حريصا على الصدق والأمانة العلمية، إذ يقول: «ما اعتمدت في تلخيصه وإيضاحه على أنني لم أرجع فيه إلى كتاب مؤَلَّف ولا قول يروى ولا حدث ما ذكرته مجموعا في مكان، وإنما عرفته بالدربة وتأمل أشعار الناس»[4].

---

[1] : سر الفصاحة، ص 101.

[2] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] : نفسه، ص 112.

[4] : نفسه، ص 122.

ويعتبر ابن سنان الخفاجي ناقدا أو شاعرا وبلاغيا مرهف الحس «لماحا ذكيا يستوفي في المسائل العقلية حقها من الدرس والتحقق، مقدرا حق العلماء، معترفا بفضلهم، ومقيما لهم العذر إن أخطأوا، راغبا عن الخلاف والطعن ويعترف بالتقصير تواضعا»[1].

4- تقديره لأستاذه واعترافه بفضله: يظهر ذلك جليا وبكثرة في كتابه سر الفصاحة، ومن ذلك قوله: «كان شيخنا يذهب إلى قصيدة كثيرة»[2]وكذلك قوله: «وكان شيخنا يعيب قول أبي الطيب»[3]، وأيضا في قوله: « وكذلك قول شيخنا أبي العلاء بن سليمان»[4].

ومن كل ما سبق ذكره يمكن القول أن ابن سنان الخفاجي «يعتبر من أشهر علماء اللغة العربية وآدابها التي عاشت أخصب فتراتها في القرن الخامس الهجري، ذلك العصر الذي تجسدت فيه العديد من الآثار العلمية والأدبية الخالدة على التاريخ»[5].

[1] : النقد وقضاياه عند الإمام ابن سنان الخفاجي كتاب سر الفصاحة أنموذجا، قصاب وهيبة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 1437هـ-1438هـ/ 2016م-2017م، ص 31.

[2] : سر الفصاحة، 187.

[3] : نفسه، ص 191.

[4] : نفسه، ص 90.

[5] : النقد وقضاياه عند الإمام ابن سنان الخفاجي كتاب سر الفصاحة أنموذجا، ص 31 نقلا عن: مؤلف كتاب سر الفصاحة وحياته العلمية والأدبية ابن سنان الخفاجي، قدر اسرافيل إدريس، ص 13.

4. وفاته:

توفي ابن سنان الخفاجي إثر مؤامرة دبرت له بسبب عصيانه وتمرده على أمير حلب، فدس له السم في خشكنانة* وكانت وفاته سنة ست وستين وأربعمائة هجرية (ت466هـ)، وحمل إلى حلب ودفن فيها[1].

5. آثاره العلمية:

ترك ابن سنان الخفاجي آثارا قليلة لكنها قيمة لما تحتويه من كنوز معرفية قيمة، وانحصرت في الآتي:

1- كتاب "سر الفصاحة" .

2- كتاب" الصرفة": الذي بين فيه قضية إعجاز القرآن ومذهب الصرفة، وقد أشار صاحب كتاب معجم الأدباء إلى هذا الكتاب قائلا: «قرأت بخط عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر في كتاب له ألفه في الصرفة»[2] غير أنه ضائع مفقود.

3- ديوان في الشعر: وطبع هذا الديوان ببيروت سنة 1316هـ ويقع في مائة وست صفحات (106 صفحة) وقد أشير إليه في عدة مراجع وهو في طبعة حجزية. يقول الدكتور سامي الدهان في كتابه قدماء ومعاصرون: «ابن سنان الخفاجي شاعر فحل من شعراء ذلك العصر، و لم ينصفه

---

*: الخشكتان: تكلمت به العرب وهو دقيق الحنطة، إذا عجن بشريح، وبسط وملئ بالسكر واللوز والفستق وماء الورد وجمع وخبز وأهل الشام تسميه المكفن، ينظر: الهامش في المحاضرات والمحاورات لجلال الدين السيوطي، 173/1.

[1] : معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت 626هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411ه/1991م، ط1، 415/1.

[2] : ينظر: وفيات الأعيان وأنباءء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1900م، دط، 270/5.

المعاصرون، مع أنه كان طامحا طموح غيره من كبار الشعراء إلى شدة الإمارة في السياسة والشعر»[1].

ثانيا: التعريف بكتاب سر الفصاحة:

إن من جملة ما وصل إلينا –كما سبق الإشارة- من تأليف ابن سنان القيمة كتاب "سر الفصاحة"، والذي يعتبر من أهم ما ألف في البلاغة في القرن الخامس الهجري، وهو مؤلف قائم على تصورات لغوية وبلاغية ونقدية من شأنها أن تفتح مجال البحث لعديد القضايا، لما تحتويه من رؤى بلاغية ونقدية متضمنة فيه ومن مكونات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، تؤسس لمواضيع صوتية من زوايا مختلفة.

وتتضح الآراء الصوتية بخاصة في درس الخفاجي لتعرب عن فكر لساني صرف في واحد من أثرى كتب الثرات العربي، خاصة وأن ابن سنان تشبع كثيرا من آراء الجاحظ (ت255هـ)، وابن جني (ت392هـ)، وابن سينا واتبع مسارهم، واتخذ دروسهم منطلقا لدرسه البلاغي والنقدي اللغوي.

1. تسمية الكتاب "سر الفصاحة" والغرض من تأليفه:

لقد تباينت الآراء حول تسمية المؤلف بسر الفصاحة، فنجد بعض الآراء تؤكد أن التسمية الأصلية للكتاب تحمل عنوان "سر الصناعة"، وقيل أن ابن سنان غيره لغرض مخالفة تسمية ابن جني لأن الخفاجي كتب ثقافة واسعة رسم معالمها في كتابه (سر الفصاحة) الذي فرغ من تأليفه سنة (454هـ) والذي يدعى أيضا (سر الصنعة)[2] في حين لم يشر الخفاجي إلى هذه التسمية والتي لا

[1] : النقد وقضاياه عند الإمام ابن سنان الخفاجي، كتابه سر الفصاحة أنموذجا، ص 37.

[2] : الديوان، ص 24.

يمكن عدها إلا اقتداءًا بكتاب "سر صناعة الإعراب" لابن جني، والذي تحصر الكثير من قضاياه اللغوية في كتاب سر الفصاحة و الأرجح أن التسمية الأصلية للكتاب هي "سر الفصاحة" كما أشار إلى ذلك ابن سنان في مقدمة كتابه عندما ذكر الغر من تأليفه، كما أن القول بأن ابن سنان غير تسمية الكتاب من "سر الصناعة" إلى "سر الفصاحة" أمر غير مدرج لسببين: الأول ابن سنان اطلع على المؤلف الأول –سر الصناعة- واستفاد منه كثيرا خاصة في مجال حديثه عن الصوت ومخارج الأصوات وصفاتها، والثاني هو الفارق الزمني بين المُؤَلِّفين والمُؤَلَّفين.

والدارس لكتاب سر الفصاحة يجد ابن سنان يفصح في صدر كتابه عن سبب تأليفه حيث يقول: «فإني ما رأيت الناس مختلفين في ماهية الفصاحة وحقيقتها، أودعت كتابي هذا طرف من شأنها، وجملة من بيانها وقربت ذلك على الناظر وأوضحته للمتأمل، ولم أمل بالاختصار إلى الإخلال ولا مع الإسهاب إلى الإملال»[1]. ذلك أن علم الفصاحة له تأثير كبير في العلوم الأدبية «إلا أن التربية منها نظم الكلام على اختلاف تأليفه ونقده ومعرفة ما يختار منه وكلا الأمرين متعلق بالفصاحة بل هو مقصور على المعرفة بها فلا غنى لمنتحل الأدب»[2] عن دراستها على هذا النحو.

كما نجده يذكر الغرض من تأليف الكتاب في قوله: «اعلم أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرها، فمن الواجب أن تبين ثمرة ذلك وفائدته»[3]. زيادة على أن الكتاب جاء دراسة مفصلة في ماهية الفصاحة ومقاييسها و أوصاف البلاغة و قضاياها.

2. محتوى الكتاب:

[1] : سر الفصاحة، ص 13.

[2] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

قبل أن يشرع ابن سنان الخفاجي في الحديث عن الفصاحة مهّد لذلك بعدد من الموضوعات، تمثل مقدمات ضرورية للإحاطة بجوانب الفصاحة، وذلك عندما عرض لوصف دقيق وتعريف مستفيض الأصوات والحروف والكلام واللغة، فبين حقيقة الأصوات وتقطعها وأحوال حروفها ومخارجها وأثرها في فصاحة الكلمة، وحدد خصائص الأصوات وبين أن الصوت يخرج مستطيلا ساذجا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده فيسمى المقطع في مجالها ولا تحتاج إلى انتقال محّالها. ثم انتقل إلى الحديث عن الحروف وأودع لماذا سميت حروفا ويبين كيف تختلف الحروف باختلاف مقاطع الصوت وأشار إلى طرق من أحوالها في مخارجها، ونوه إلى أن هناك بعضها يحسن استعماله في الفصيح من الكلام وأنه ما انتظم من حرفين فصاعدا من الحروف المعقولة إذا وقع ممن تصح منه الإفادة ذاهبا إلى أنه سيشل المفيد وغيره، وذكر أن المفيد منه حقيقة ومجاز وأنه يرجع إلى معنى الخبر كما أبان أن المتكلم من وقع منه الكلام قصدا، وأن الحكاية هي المحكي عند قوم فبالتالي القرآن الكريم يسمع منه كلام الله على الحقيقة وهي غير المحكى عند قوم آخرين وإن كانت مثله وانتصر لهذا الرأي[1].

ثم ذكر اللغة ومعناها وأصلها وناقش أمواضعة هي أو توقيف؟ وانتصر للرأي القائل على أساس أن اللغة مواضعة واصطلاح، وتحدث عن فضل اللغة ومميزاتها وخصائصها وذكر أقسام تأليف الحروف المتباعدة مخرجا وهو تأليف من الحروف المتقاربة وهو قليل منبوذ[2].

ثم انتقل إلى الحديث عن الفصاحة التي هي لب الموضوع والغاية من تأليف الكتاب. فبين ماهية الفصاحة وذكر مجالها والذي هو وصف الألفاظ على غرار البلاغة التي تقع وصف الألفاظ

[1] : ينظر: سر الفصاحة، ص 42-72.

[2] : ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية والنقدية، ص 11-12.

والمعاني[1] وذكر ابن سنان أن شرف الفصاحة هو أنها نعت الألفاظ متى استوفت شروطا عدة، وذكر أن عناصر تلك الشروط قسمان:

✓ أولا: ما يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها فأما يوجد في اللفظة المفردة فثمانية عناصر هي[2]:

1- أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج.

2- أن يكون لتأليفها في السمع حسن و مزية وعل غيرها إن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة.

3- أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية.

4- أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية.

5- أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شادة.

6- أن لا تكون قد عبّر بها عن أمر آخر بكل ذكره.

7- أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف.

8- أن تكون الكلمة مصغرة في الموضوع عبر بها فيها عن شيء لطيف أو خفي أو قليل.

✓ ثانيا: ما يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها ببعض وأما عناصر الفصاحة في الألفاظ المؤلفة فهي[1]:

[1] : سر الفصاحة، ص 81 وما بعدها.

[2] : سر الفصاحة، ص 64-89.

أ- ما تشترك فيه مع الألفاظ المفردة، وهي:

1- اجتناب تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام، ويرى أن التأليف على ضربين فقط: متلائم ومتنافر.

2- أن يكون التأليف جاريا على العرف العربي الصحيح.

3- أن يكون التأليف قد عبر به عن أمر يكره ذلك.

ب- ومنها ما يختص به التأليف مما يرجع إلى الألفاظ بانفراد أو اشتراكها مع المعاني.

كما تحدث عن حسن التأليف وذلك في ثمانية بنقاط، وهي[2]:

أ- وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازا :

1- بأن لا يكون في الكلام تأخير أو تقديم يفسد المعنى أو الإعراب.

2- بأن لا يكون الكلام مقلوبا فيفسد المعنى.

3- ومن وضع الألفاظ موضعها حسن الاستعارة، ويعرف الاستعارة ويذكر خصائصها ويتحدث عن الفرقق بينها وبين التشبيه ثم يذكر أثر الاستعارة في الفصاحة، وأقسامها.

4- ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا تكون الكلمة حشوا، ويتحدث عن الحشو والغرض منه وما عيب منه وما استحسن.

---

[1] : ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية من خلال كتاب سر الفصاحة، ص 22.

[2] : قضايا

5- ومن وضع الألفاظ موضعها اللا يكون فيها معاظلة، وتحدث عن المعاضلة وبين الفرق بينهما وبين مشاكلة النظم بعضه لبعض ودلالة البيت على قافيته ويسمى تسهيما أو توشيحا.

6- ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا يعبر عن المدح بألفاظ الذم ولا العكس.

7- ومن حسن الكناية في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح.

8- عدم استعمال الألفاظ العلمية والاصطلاحية.

ب- وعن شروط الفصاحة فقد خص بالذكر المناسبة بين الألفاظ، وقد جعلها على طريقين[1]:

➢ أولا: الألفاظ من طريق الصيغة ، وهذه أثرها في الفصاحة ظاهر، ومن هذه المناسبة:

1- السجع والازدواج ثم بين معنى السجع وأقسامه وتحدث عن منهج القرآن في أسلوبه وأشار بأنه لم يكن كله مسجوعا لأن ذلك من أمارات التكلف والاستكراه كما أنه لم يخل من السجع، لأن السجع من صفات الفصاحة.

2- ذكر القوافي في الشعر وتحدث عن شروط حسن القافية وتحدث عن كثيرا من عيوبها.

3- وذكر التصريح وبين أنه يكون في الجمل التي يشملها البيت أو الفصل المنشور مسجوعة.

5- ألف والنشر المرتب.

6- عدم كثرة الزمان في الشعر وتساوي الفصول، أو أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول دون العكس في النشر.

[1] : ينظر: سر الفصاحة، ص 180 وما بعدها.

7- التجانس القليل غير المتكلف منه.

- ثانيا: الألفاظ من طريق المعنى وهذه جعلها الخفاجي على وجهين[1]:

- أحدهما تقارب معنى اللفظين.

- والثاني تضاد معانيهما أو تقارب المعنى من التضاد، ثم ذكر أقسام الطباق وحقيقته وما يستحسن منه، ممثلا لجيده ورديئه ويجعل التقديم والتأخير في الأسلوب مما يجري مجرى الطباق.

ومن شروط الفصاحة البلاغة: الإيجاز وذكر ذلك في: مقام الإيجاز ومقام الإطناب، وبين أنه يشترط في الإيجاز وضوح المعنى وعدم خفائه، وإلا كان قبيحا مذموما، كما شرح كلا من المساواة والتذييل والإشارة.

ذكر كذلك شروط الوضوح في الأسلوب شعرا ونثرا.

وتكلم كذلك عن الكناية والتمثيل[2].

وأسباب الفصاحة المأخوذة بها في صناعة تأليف الكلام عند ابن سنان هي[3]:

1- صحة التقسيم.

2- تجنب الاستحالة والتناقص.

3- ألا تضع الجائز موضع الممتنع.

4- صحة التشبيه.

---

[1] : نفسه، ص 203 وما بعدها.

[2] : ينظر:سر الفصاحة ، ص 209 وما بعدها.

[3] : ينظر: المصدر نفسه، ص 233 وما بعدها.

5- صحة الأوصاف في الأغراض.

6- صحة المقابلة في المعاني.

7- صحة النسق والنظم وحسن التخلص.

8- صحة التفسير.

9- الاستدلال بالتمثيل.

10- الاستدلال بالتعليل.

بعد ذلك عرج ابن سنان للحديث عن الآراء الفاسدة في نقد الشعر والكلام، وذلك حين خطأ من يفضل أشعار المتقدمين على شعر المحدثين، وناقش ذلك مفصلا الآراء مبينا مناهج ومذاهب النقاد في نقد الشعر[1].

وفي نهاية كتابه بين الفرق بين المنظوم والمنثور وما يقال في تفضيل أحدهما على الآخر، وما يحتاج مؤلف الكلام إلى العلم به، وقد حددها في نقاط، هي[2]:

1- اللغة التي هي لغة العرب.

2- يحتاج من علم النحو إلى معرفة إعراب ما يقع له في التأليف.

3- يحتاج الشاعر خاصة إلى معرفة الخمسة عشر بحرا، ويفتقر من علم القوافي إلى معرفة الحروف والحركات التي يلزم إعادتها وما يصح أن يكون رويا أو ردفا مما لا يصح.

[1] : ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية من خلال كتاب سر الفصاحة , ص 15

[2] : ينظر: سر الفصاحة، ص 279- 281.

4-يحتاج كذلك إلى معرفة المشهور من أخبار العرب أحاديثها وأنسابها وأمثالها ومنازلها وسيرها وصفة الحروب التي كانت لها، وما له قصة مشهورة أو حديث مأثور.

5- ويختص بما يفتقر إليه من معرفة المخاطبات وفنون المكتبات والتوقيعات والرسوم والتقليدات مع الاطلاع على كتاب الله تعالى وشريعته، وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم وسنته.

6- ومؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم واطلع على كل صناعة أثر ذلك في تأليفه ومعانيه وألفاظه، لأنه يدفع إلى أشياء يصنفها، فإذا خبر كل شيء وتحققه كان وصفه له أسهل، إلا إن كان المقصود في هذا الموضع بيان ما لا يسعه جهله دون ما إذا علم أثره عنده فإن ذلك لا يقف على غاية.

7- ترك التكلف والاسترسال مع الطبع، وفرط التحرز وسوء الظن بالنفس، ومشاورة أهل المعرفة، وبغض الإكثار والإطالة وتجنب الإسهاب في فن واحد من فنون الصناعة،

ثم ختم ابن سنان كتابه بحمد الله عز وجل.

3. منهج كتاب سر الفصاحة:

يطغى الفكر اللغوي على تصور الخفاجي في كتابه سر الفصاحة، حيث يعتبر فكره خلاصة لجهود اللغويين قبله أمثال: الخليل (ت175هـ)، وسيبويه (ت180هـ) وغيرهم الكثير ممن أشار إليهم الخفاجي في مصنفه "سر الفصاحة" والذي يعتبر محاولة حاذقة لتلخيص درس السابقين بأسلوب علمي تعليمي.

وانتهج ابن سنان في كتابه "سر الفصاحة" المنهج الوصفي التحليلي، والذي برزت من خلاله شخصية البلاغي البارع والأديب الناقد، حيث كان لروحه الأدبية أثر كبير في ثنايا كتابه، من ذلك إدراجه الأمثلة الشعرية والنصوص الأدبية وقد أفصح عن ذلك بقوله: «ثم نبين بعد هذا وكله

وأشباهه ماهية الفصاحة ولا نخلي ذلك الفصل من شعر فصيح وكلام غريب بليغ يتدرب بتأمله على فهم مرادنا، فإن الأمثلة توضح وتكشف وتخرج من اللبس إلى البيان ومن جانب الإبهام إلى الإفصاح»[1].

كما أكد على هذا المنهج في نهاية كتابه قائلا: «إنا قد وفينا بجميع ما شرطنا في أوله وقد كنا عزمنا على أن نصله بقطعة مختارة من النظم والنثر يتدرب عليها في فهم ما ذكرناه من أحكام البلاغة وكشفناه من أسرار الفصاحة، لكن فرقنا من الإطالة والتثقيل على الناظر فيه بالملل والسآمة فعدلنا إلى وضع ذلك في كتاب مفرد»[2].

ويمكن تحديد منهجه في النقاط الآتية[3]:

1- عقد الموازنات الأدبية: من قوله: «وقد كنت مثلت في بعض المواضع الاستعارة المحمودة والمذمومة في بيتين، أحدهما قول أبي نصر بن نباتة*:

حَتَّى إِذَا بُهَرُ* الأَبَاطِحِ* وَالرُبَا نَظَرَت إِلَيكَ بِأَعيُنِ النُّوَارِ[4]

فنظر أعين النوار من أشبه الاستعارات وأليقها لأن النوار يشبه العيون وإذا كان مقابلا لم يجتاز فيه ويمر به كان كأنه ناظر إليه، وهذه الاستعارة الصحيحة الواضحة التشبيه»[5].

---

[1] : سر الفصاحة، ص 40.

[2] : سر الفصاحة، ص 270-271.

[3] : ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية من خلال كتاب سر الفصاحة , ص 17

*: نصر بن نباتة: هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة السعدي أبو نصر من شعراء سيف الدولة بن حمدان، طاف البلاد ومدح الملوك واتصل بابن العميد في الري ومدحه، قال أبو حيان: شاعر الوقت حسن الحذو على مثال سكان البادية لطيف الانتمام خفي المغاصب في واديهم هذا مع شعبة من الجنون وطائفة من الوسواس، قال ابن خلكان: "معظم شعره جيد توفي بغداد 405هـ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد محمد بن خلكان 354هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، دط، دت، 774/3.

* البهر: ما اتسع من الأرض، وبهرة الوادي سرارته وحبره وبهرة كل شيء وسطه، لسان العرب، 81/4، مادة (بهر).

* الأباطح: ج الأبطح وهو الوادي وهو بطحاء وهو التراب السهر في بطونها مما قد جرت عليه السيول، لسان العرب، 413/2 مادة (بطح).

[4] : لم يوجد البيت في ديوان ابن سعدي وورد في سر الفصاحة، ص 138.

[5] : سر الفصاحة، ص 138.

والبيت الثاني: قول أبي تمام[1]:

قَرَت بِقُرَانِ عَينُ الدين وَانتَشَرَت بِالأشتَرِين عُيُونُ الشِّركِ فاصطُلِمَا

«وقرة عين الدين وانتشار عيون الشرك من أقبح الاستعارات لعدم الوجه الذي لأجله جعل الدين والشرك عيونا ومع تأمل هذين البيتين يفهم معنى الاستعارة لأن النوار والشرك لا عيون لهما على الحقيقة، وقد قبحت استعارة العيون في أحدهما وحسنت في الآخر، وبيان العلة فيه أن النوار يشبه العيون والدين والشرك ليس فيهما ما يشبهها ولا يقاربها وهذه طريقة متى سلكت ظهر المحمود في هذا الباب من المذموم»[2].

2- التأمل والتفكر مع الحياد الأدبي والعلمي بين القديم والحديث:

لقد استعرض ابن سنان الخفاجي الدواوين كاملة بحثا عن الأمثلة و لم يخف عنه ذكر قلة المادة الأدبية المتوفرة عنده في قوله: «وكنت أفتقر إلى تأمل الديوان الكامل حتى أظفر منه بالكلمات اليسيرة فأوردها مثالا»[3].

والملاحظ أن منهج ابن سنان يعتمد على الإكثار من الشواهد الشعرية دون النثرية، ويعلل لهذا بقوله : «فأما اقتصاري في أكثر ما أمثل به على المنظوم دون المنثور مع أن كلامي عليهما واحد فإنما أقصد من ذلك لكثرة المنظوم واشتهاره ورغبتي في أن يسهل الوزن عليك حفظ ما أذكره فإنه داع وبسبب وحيد»[4].

[1] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] : سر الفصاحة: ص 138.

[3] : نفسه، ص 97.

[4] : نفسه: ص 97.

وتمثل حياد ابن سنان الأدبي في قوله: «وكان يلتمس من المتأخر الحسن الصحيح كذلك يلتمس من المتقدم... وأما أحسب أن أحدا ممن ينسب إلى العلم ويتميز بصحة الفهم يحتاج في اختيار الاستعارة إلى معرفة صاحبها وزمانه، حتى يكون حكمه على من تقدم مولده يخالف حكمه على من قرب عهده»[1].

رغم ما أشار إليه ابن سنان في النقطة السابقة إلا أنه بين في موضع آخر أن اتباعه لهذا المنهج ليس تعصبا للقديم على الحديث من ناحية الزمن المجرد، وإنما لسبب آخر خارج عن نطاق الزمن يقول: «إنما العرب الأول لما كثر الإسلام واتصلت الدعوة وانتشرت حضر أكثرهم، وسكنوا الأرياف فارقوا البدو وخالطهم الباقي فامتزج كلامهم بمن جاوروهم من الأنباط وعاشروه من العجم، وعدم منهم الطبع السليم الذي كانوا عليه قبل هذه المخالطة، فهم الآن لا يحتج بكلامهم لهذه العلة لا لأن التقدم والتأخر سببان في الصواب والخطأ»[2] من هنا يمكننا الجزم بأن منهج ابن سنان خال من نزعات الأنا وعلو الذات

3- الحرية والدقة في البحث والنقد مع الحرص على الأمانة العلمية:

وضع ابن سنان أن منهجه ارتكز على حرية البحث والنقد وتغليبه للحق دون اتباع الهوى، فيما يذهب إليه الآمدي في بيت امرئ القيس:

فَقُلتُ لَهُ لَمَا تَمَطَى بِصُلبِهِ وَأَردَفَ أَعجَازًا وَنَاءَ بِكَلكَلِ[3]

اعتبر ابن سنان الخفاجي أن هذه الاستعارة في غاية الحسن والجودة والصحة حيث علق ابن سنان مناقشا: «هذا الذي قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضا ولو كنت أسكن إلى تقليد أحد العلماء بهذه الصناعة، أو أجنح إلى اتباع مذهبه من غير النظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم

[1] :سر الفصاحة ، ص 186.

[2] ــ نفسه: ص 104

[3] ــ نفسه: ص 96

لصحة فكره وسلامة نظره وصفاء ذهنه وسعة علم، لكنني أغلب الحق عليه ولا أتبع للهوى فيما يذهب إليه، وبيت امرئ القيس عندي ليس من جيد العبارة ولا من رديئها بل هو من الوسط بينهما»[1].

وتبدو أمانته العلمية بارزة للعيان فهو لم يورد رأيا لغيره أو ينقل قولا ليس له إلا ونسبه إلى صاحبه أو إلى مصدره، وكان في الغالب يشيد بفضل الآخرين وجهودهم ويثني عليهم، ومن ذلك ما جاء به في قوله: «وقد ذهب قدامة بن جعفر الاتب إلى أن في صناعة تعلم الكلام موضوع لها وذكر ذلك في كتابه الموسوم "بنقد الشعر"، وقال في كتابه " الخراج وصناعة الكتابة" عند كلامه عن البلاغة أن تجري مجرى الموضوع لصناعة البلاغة»[2].

ونراه دائما بذكر المصدر العلمي الذي أفاد منه ويسنده إلى صاحبه، ولحرصه الشديد على أمانته العلمية فإنه لم يجد مانعا من أن ينسب إلى نفسه النسيان والسهو بل كان أفضل من أن يميل إلى مصدر من المصادر من دون تأكيد يقول: «وقفت في بعض المواضع على كلام في هذه الصناعة لا أعلم صاحبه قدامة أو غيره لأنني قد نسيت الكتاب الذي وجدته فيه يدل على الألفاظ موضوع»[3].

ويلاحظ على ابن سنان الخفاجي أيضا عزوفه عن حشو الكتاب: حيث كثيرا ما نجده يحيل في مبحث من المباحث إلى كتاب أو كتب متخصصة فيه ولا يشغل نفسه ولا القارئ بالاستطراد في ذكر موضوعات أو مصطلحات ليست من أهداف كتابه، وبعد هذا تحديدا دقيقا منه لإطار البحث وعدم خروجه منه إذ يقول: «فإني لو رمت إيطاح ذلك بجملته وإيراده بجميع أدلته

[1] : سر الفصاحة، ص 182 .
[2] : نفسه، ص 167
[3] : نفسه، ص 174.

خرجت عن المقصود في هذا الكتاب وأخذت في تفضيل العرب على أمم وهو يحتاج إلى جزء مميز وكتاب منفرد»[1].

وقوله في موضع آخر: «ولهذه الجملة تفصيل طويل إذا ذكرناه عدلنا عن الغرض المقصود بهذا الكتاب. وشرعنا في صريح النحو ومحض الإعراب ولذلك كتب موضوعة له ومقصورة عليه، يعني الناظر فيها عما تذكره في كتابنا هذا»[2].

4. تحقيقات الكتاب:

وقد خضع كتاب "سر الفصاحة" لجملة من التحقيقات جملناها بعد البحث والتقصي فيما يلي:

- ✓ تحقيق علي فودة 1932م، مكتبة الخانجي للنشر.
- ✓ تحقيق عبد المتعال الصعيدي، 1953م، مكتبة صبيح.
- ✓ تحقيق عبد الواحد نبوي شعلان 2003م، دار ثباء للنشر.
- ✓ تحقيق ابراهيم شمس الدين 2010م، كتاب ناشرون.

وقد عثرت على اثنان منها وهما تحقيق عبد الواحد نبوي شعلان وتحقيق ابراهيم شمس الدين لأني رأيت أنه أيسر وأسهل لما أورد فيه المحقق من شروحات وتعليقات جعلت مهمة البحث فيه سهلة.

[1] : سر الفصاحة، ص57.

[2] : نفسه، 148.

الفصل الثاني:

قضايا الدرس اللساني في كتاب سر الفصاحة

على الرغم من أن كتاب "سر الفصاحة" هو كتاب ذو توجه نقدي وبلاغي وأدبي ، إلا أن ابن سنان تناول فيه بعض التوجهات اللغوية فقد قام بوصف عناصر الدرس اللغوي من جزءها إلى كلها فبدأ بالصوت وتعريفاته، ثم الحرف ومخارجه وصفاته، ثم انتقل للحديث عن اللّغة وخصائصها، ثم الكلام وما يحيط به ليمهد لموضوع الكتاب الأصلي الذي هو الفصاحة، وهذا ما يصرح به في ديباجة كتابه، إذ يقول: «ونحن نذكر قبل الكلام في معنى الفصاحة نبذا من أحكام الأصوات والتنبيه على حقيقتها ثم نذكر تقطعها على وجه يكون حروفا متميزة، ونشير إلى طرف من أحوال الحروف ومخارجها ثم ندل على أن الكلام ما أنتم منها، ثم نتبع ذلك بحال اللغة العربية، وما فيها من حروف وكيف يقع المهمل فيها والمستعمل، وهل اللغة في الأصل مواضعة أو توفيق؟ ثم نبين بعد هذا كله وأشباهه ماهية الفصاحة»[1].

فهذا الترتيب المنهجي لفصول الكتاب والتنظيم العلمي لقضاياه، يعكس التفكير اللساني المتضمن فيه، وسنحاول في هذا الفصل عرض بعض القضايا اللسانية التي جاء بها ابن سنان في مصنفه في ضوء ما جاء به اللسانيون المتأخرون من علماء الدرس اللساني الحديث، وقد اخترنا على سبيل المثال لا الحصر القضايا اللسانية التالية:

1. القضية الأولى: الأصوات:

ولما كان الصوت يشكل المادة الأولى في تشكيل اللغات الإنسانية، باعتبار أن الصوت لغة قبل أن تكون اللغة أصوات، إضافة إلى إجماع الدارسين على أن الصوت يمثل المستوى الأول من مستويات الدرس اللغوي، فقد استهل ابن سنان كتابه بالحديث عن الصوت مقدما العديد من الموضوعات المتعلقة بالصوت مركز على الجانب المعجمي وماهية الصوت، حيث يقول:

[1] : سر الفصاحة، ص 40.

«مصدر صات الشيء يصوت فهو صائت، وصوت تصويتا، فهو مصوت، وهو عام ولا يختص»[1].

والتعريف نفسه قال به ابن جني في مؤلفه "سر صناعة الإعراب" ومنه نقول: «صوت الإنسان وصوت الحيوان، وصوت الحمار[2] واستدل على ذلك بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصوَاتِ لَصَوتُ الحَمِيرِ﴾ [3].

وفي استدلاله بالآية الكريمة توجيه لساني باعتبار ضابط الاستعمال القرآني، وهو أفصح الكلام وأعظمه[4].

وهو في كل ما يورده لا يختلف عما ذكره ابن جني الذي يرد على ذلك بقوله: «وهذا قبيح من الضرورة، أعني تأنيث المذكر لأنه خروج عن أصل إلى فرع، وإنما المستجاز من ذلك رد التأنيث إلى التنكير، لأن التنكير هو الأصل»[5]. والأمر هذا أشار إليه كل من ابن منظور وابن سيده وعموم ما قاله ابن سنان في هذا الصدد هو ذاته ما أورده ابن جني، وأضاف عليه في ذلك قوله : «ويقال رجل صات، أي شديد الصوت كما يقال: رجل نال أي كثير النوال،

---

[1] : سر الفصاحة، ص 40.

[2] : سر صناعة الإعراب،ابن جني ،تحقيق حسن الهنداوي ، الرياض ، دت، دط ،10/1

[3] : سورة لقمان، الآية 19.

[4] : مجلة التربية والعلم، من مقال بعنوان: "التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي"، معن توفيق دحام، المؤتمر الدولي السادس لقسم اللغة العربية، جامعة الموصل، 2012، ص 380.

[5] : سر الفصاحة ، ص 42.

وقولهم: لفلان صيت، إذا انتشر ذكره، من لفظ الصوت إلا أن واوه انقلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، كما قالوا: قيل من القول»[1].

ثم ينتقل ابن سنان الخفاجي للحديث عن طبيعة الصوت الإنساني ووصفه وذكر وجه الاختلاف بينه وبين غيره من الأصوات الأخرى فيقول بأن: «الصوت معقول مدرك ولا خلاف بين العقلاء في وجود ما يدرك، وهو عرض ليس بجسم، والدليل على أنه ليس بجسم أنه مدرك بحاسة السمع، والأجسام متماثلة، والإدراك إنما يتعلق بأخص صفات الذوات، فلو كان جسما لكانت جميعها مدركة بحاسة السمع وفي علمنا ببطلان ذلك دليل على أن الصوت ليس بجسم»[2]. فهو يحاول من خلال هذا القول التدليل على اختلاف الصوت الإنساني عن غيره، وذلك بقوله أن الصوت معقول فبالعقل تدرك الأشياء والأصوات والصفات في حالتيها الحسية والمعنوية[3]، وكذلك الصوت مدرك بحاسة السمع، وهي خاصية في الإنسان ولأن الصوت كذلك يدرس في مجال الأصوات النطقية والسمع والإدراك وكذلك المقطع وعلم الأصوات الوظيفي[4].

وقد ذكر أيضا أن الصوت يدرك بحاسة السمع كما تدرك الألوان بحاسة البصر كالسواد والبياض مثلا، ومثل أيضا على الإدراك القدرة على التفرقة بين الأصوات الحاصلة ولو مع تماثل أشكالها كالأمر الحاصل مع حرفي الراء والزاي وسائر الحروف الأخرى[5]، وقد ذكر في بيان حالة الصوت المدرك الاختلاف في الهيئة فقال: «وإذا كنا دللنا على أن الصوت ليس بجسم، والذي يدل على أنه ليس بصفة لجسم بل هو ذات مخالفة له، أن الصوت لو كان صفة لم يجل

---

[1] : نفسه، ص 43.

[2] : سر الفصاحة ، ص43.

[3] : ينظر: التفكير اللساني ي كتاب سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، ص 381.

[4] : نفسه ، ص 381.

[5] : سر الفصاحة، ص 43-45.

من أن يكون صفة ذاتية أو غير ذاتية ولا يجوز أن يكون صفة ذاتية لتجدده وأن دوامه غير واجب، ولا يجوز أن يكون صفة غير ذاتية لما بيناه من أن الإدراك لا يتناول إلا الصفات الذاتية والصوت مدرك بلا خلاف ومع الدلالة على أن الأصوات أعراض ففيها المماثل والمختلف»[1]. وهناك مفهوم المماثلة والمخالفة، فالأصوات المتجاورة تميل «بصورة عامة إلى التماثل، وتدعى هذه الظاهرة المماثلة مثال ذلك (التفاح) حيث تحولت (ل) في ال التعريف إلى (ت) لتماثل (ت) في كلمة تفاح»[2] أما المخالفة هي أن يعتدل صوت أو يتير ليخالف صوتا مجاورا له مثال ذلك (ولدانَ) التي تتحول إلى ولدانِ... «وكما توجد مماثلة تجاورية ومماثلة تباعدية تجد مخالفة تباعدية وتجاورية»[3].

ثم ذهب ابن سنان الخفاجي لعرض رأي كل من أبي هاشم الجبائي (ت321هـ) و عبد الجبار الهمذاني (ت415هـ) والشريف المرتضي(ت 436هـ) حول إدراك الصوت، فذكر مذهب الجبائي الذي يرى بأن المختلف من الحروف متضاد بالضرورة. وكذا ذكر اعتراض الشريف المرتضي على التسليم بذلك، فالجبائي قال بأن المختلف يستلزم التضاد مستدلا على ذلك بـ:

- ✓ جواز حمل الصوت على اللون لتعلق كل منهما بحاسته، ولما قطع في التضاد المختلف في الألوان قطع على التضاد في الأصوات أي (التضاد في الألوان= التضاد في الأصوات).

[1] : نفسه، ص 45.

[2] : الأصوات اللغوية ، محمد علي الخولي ، دار الفلاح ، الأردن ، 1990م ، دط، ص 219.

[3] : نفسه : ص 219 .

✓ الصوت مدرك في محله، وكما يستحيل اجتماع لونين في محل واحد يستحيل اجتماع صوتين في مثل ذلك[1].

ورد ابن سنان على هذين الرأيين مبينا أنه:

– لا يوجد الاتفاق في قص الإدراك على حاسة واحدة التساوي في جميع الأحكام، بدليل أن الأصوات لا تبقى ولا تثبت صورتها كما الألوان، زيادة على ذلك أن الأصوات يضادها ما يحدث بعدها، كما كان ذلك في الأوان، فالاختلاف جائز في كثير من الأحكام لكن هذا لا ينفي أن (المختلف من الأصوات غير متضاد. وإن كان المختلف من الألوان متضاد)[2].

– في حين يتفق ابن سنان مع الجبائي في استحالة اجتماع صوتين مختلفين في محل واحد ووقت واحد، غير أن هذا لا يعني الإقرار بإمكانية القطع على التضاد باستحالة اجتماع الصوتين المختلفين في محلين مختلفين. ثم انتهى ابن سنان للأخذ برأي القاضي عبد الجبار الهمذاني الذي ينفي صفة التضاد بين الأصوات «لأنها غير باقية والمنافاة إنما تصح في المتضاد الباقي»[3] ثم خلص ابن سنان الخفاجي إلى عدّ إدراك الأصوات ما كان مدركا في الحروف.

إلا أن فيهما اختلاف أو فرق إن صح التعبير بين إدراك الألوان وإدراك الأصوات حسيا، فالأول يدرك بالنظر والثاني يدرك بالسمع ولكل منهما تفاوت وتدرج، فالألوان تندرج فتختلف والأصوات تتفاوت في المخرج والصفات.

يقول ابن سنان الخفاجي: «والأصوات تدرك بحاسة السمع في محالها، ولا تحتاج إلى انتقال محالها وانتقالها، وكونها إعراضا منع من انتقالها، وقد استدل على ذلك بأنها لو انتقلت

[1] : ينظر: سر الفصاحة، ص45.
[2] : ينظر: سر الفصاحة، ص 46.
[3] : نفسه، ص 46.

لجاز أن تنتقل إلى بعض الحاضرين دون بعض حتى يكون مع التساوي في القرب والسلامة، يسمع الصوت بعضهم دون بعض، وأن يجوز اختلاف انتقال الحروف حتى يدرك الكلام مختلفا. واستدل على ذلك أيضا أنه: لو احتيج في إدراك الأصوات إلى انتقال المحال لما وقع الفرق مع السلامة بين جهة الصوت والكلام مكانهما، كما أنه لا يعرف في أي جهة انتقل إلى محل ما يلاقيها من الأجسام الذي يدرك منها الحرارة والبرودة»[1].

في هذا الكلام تعليل دقيق يوضح لنا الفرق بين نطق الأصوات وإدراكها في محلها و «بين جواز اختلاف انتقال الحروف لندرك الكلام حدثا لغويا مرتبط بمكان وزمان، وهو من مقومات الكلام، وهي جملة الركائز الفعلية التي يستند إليها خروج الكلام من صورته النظرية الكلية إلى صورة الحدث المنجز. وهو ما يفضي بالبحث عن معطيات التشكل اللساني بما يجعله معطى مدركا بالحس والعقل حيث إن التشكل يقتضي خروج الظاهرة من حيز الوجود المجرد إلى حين المعطى المتلابس مع الموجودات الموضوعية»[2]، فالصوت حسب رأي ابن سنان يدرك متقطعا لكي يؤدي الغرض.

أما إذا عدنا إلى ما أفرزته الدراسات الصوتية الحديثة حول الصوت وحدوثه وإدراكه واختلافه فنجد أن الدراسات الحديثة تهتم كثيرا بالجوانب المتعلقة بالصوت الإنساني في طبيعته وطريقته ووظيفته، ويتخذ كل جانب منها وصفا وظيفيا، الشيء الذي لم يكن معروفا بشكل كبير عند علماء العربية قديما ومن بين المفكرين العرب الذين أشاروا في كتاباتهم لجوانب الصوت الفيسولوجية (النطقية) والأكوستيكية (الفيزيائية) ابن سنان الخفاجي والتي تتوافق كثيرا والمعطيات الحديثة، وأهم هذه الجوانب الصوتية هي:

[1] : نفسه، ص 47-48.

[2] : التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، ص 382-383.

1- الجانب الفيسيولوجي:

وتعتبر دراسته للصوت الإنساني والأعضاء النطقية أهم ما يهتم به الفيزيولوجي، فيراقب حركة الأعضاء وأوضاعها في صورة وظيفية ترتبط بطريقة حدوث الصوت ومراحل تشكليه عبر الجهاز النطقي[1].

ونجد مثل هذا التصور عند ابن سنان الذي تكلم عن مخارج الحروف وصفاتها، وأوضاع الصوت فيها، وإشارته للمحل الصوتي، «والصوت يخرج ساذجا مستطيلا حتى يعرض له الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عند امتداده، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا»[2].

فابن سنان وضح ارتباط الصوت بالحرف، وكيفية عمل جهاز النطق على الرغم من أنه لم يذكر دور الأوتار الصوتية.وفي ذات السياق نجد تمام حسان يقول: «فإذا نظرنا مثلا إلى عملية إنتاج الأصوات الضرورية للكلام فإننا سنجد الأوتار الصوتية خارجة خروجا تاما عن مفهوم اللغة المعنية... فاللغة المعنية كالسمفونية، تستقل حقيقتها استقلالا تاما عن حركات العزف التي يقوم بها اللاعب على الآلة، فإذا ارتكب العازف خطأ في العزف فإن ذلك لا يطعن في قيمة السيمفونية، ولا حقيقتها وما يقال عن عملية إنتاج الأصوات لا بد أن يقال عن بقية مكونات الكلام»[3]. وهذا فيه إشارة إلى ما قاله ابن سنان في هذا السياق، خاصة وأن أبسط هذه المكونات الكلامية هو الصوت الساذج المتصل.

2- الجانب الأكوستيكي:

[1] : ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، دار الغريب للطباعة والتوزيع، دت، دط، ص 119.

[2] : سر الفصاحة، ص 48.

[3] : مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990م، دط، ص 34-35.

يعنى هذا الجانب «بدراسة الأبعاد المادية أو الفيزيائية للصوت الإنساني أثناء مرحلتها الانتقالية من فم المتكلم إلى أذن السامع، هذه المرحلة تمثل الميدان التطبيقي لحدوث الذبذبات والموجات الصوتية التي تنتقل عبر الوسط الهوائي»[1]، والتي يتم من خلالها وصف كيفية انتشار الصوت في الهواء منذ خروجه من فم المتكلم إلى غاية وصوله إلى أذن السامع، مع ملاحظة التأثير الحاصل وهذا الوصف يتطابق مع رأي ابن سنان الخفاجي القائل بأن: «الصوت معقول مدرك ولا خلاف بين العقلاء في وجود ما يدرك، وهو عرض ليس بجسم، والدليل على أنه ليس بجسم أنه مدرك بحاسة السمع، والأجسام متماثلة، والإدراك إنما يتعلق بأخص صفات الذوات، فلو كان جسما لكانت جميعها مدركة بحاسة السمع وفي علمنا ببطلان ذلك دليل على أن الصوت ليس بجسم»[2].

3- الجانب السمعي:

يهتم بدراسة كل ما له علاقة بالسمع وكيفية عمل الأعضاء المتحكمة فيه، وآلية انتقال الصوت وما يؤثر فيه، فيدرس الأصوات من حيث تموجاتها، وكيفية استقبالها وتحويلها وسيرها في الأعصاب وصولا إلى الدماغ[3]، ويبحث في مدى تأثير الجوانب النفسية في إدراك السامع الأصوات.

وعموما يهتم هذا الجانب برصد الصوت كـــ«أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق... ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة، أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضا، ومعنى ذلك أن المتكلم

---

[1] : الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ط1، ص 43.

[2] : ينظر الصفحة 40 من هذه المذكرة .

[3] : الأصوات اللغوية، ص 73.

لا بد أن يبذل مجهودا ما كي يحصل على الأصوات اللغوية»[1]، وكان ابن سنان الخفاجي قد أشار إلى ذلك في معرض حديثه عن الصوت بقوله : «والصوت يخرج ساذجا مستطيلا حتى يعرض له الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عند امتداده، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا»[2].

وقد وضح علماء العربية من قبل العديد من الجوانب التي يبنها العلم الحديث «فلعلماء العرب في القديم –لغويين أو غير لغويين- إشارات وأفكار تبنى بوضوح عن إدراكهم لجوانب الأصوات النطقية والأكوستيية والسمعية جميعا، وإن كانت جل أعمالهم جاءت بالتركيز على الجانب النطقي الفيسيولوجي، ذلك أن هذا الجانب هو أقرب مثالا والأيسر في التعامل معه، بالملاحظة الذاتية introspiction والتذوق الفعلي للأصوات، وهما من أهم الوسائل لتعرف الخواص النطقية للأصوات، وبخاصة عند قوم عرفوا بحسهم اللغوي المرهف واهتمامهم الشديد بالكلام المنطوق، وصحة آدائه»[3] وطالما كانت الجوانب النطقية والفيزيائية والسمعية أساسا للدراسات الصوتية الحديثة منها والقديمة.

فالمتمعن في عمل ابن سنان الخفاجي وتحليله لأفكاره وأقواله ومحاولة قراءتها بمنظور حديث يزيل الغبار عن كثير من الأساسات التي هي نقطة ارتكاز لتشكل الصوت وخروج الحرف وإنجاز الكلام «وهو ما يفضي إلى البحث عن معطيات التشكيل اللساني بما يجعله معطى مدركا بالحس والعقل حيث إن التشكل يقتضي خروج الظاهرة من حيز الوجود المجرد إلى حيز المعطى المتلابس مع الموجودات الموضوعية»[4].

---

[1] : علم الأصوات، ص 119.

[2] : ينظر الصفحة 44 من هذه المذكرة .

[3] : علم الأصوات، ص 122.

[4] : التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي، ص 382.

ومنه يمكن القول أن الرؤى التي جاء بها ابن سنان الخفاجي في تقعيده ودراسته للصوت جاءت متوافقة مع ما أتى به العلماء والدارسون المحدثين.

2. القضية الثانية: الكلام

استهل ابن سنان حديثه عن الكلام بتحديد الجوانب المعجمية، ورصد آراء العلماء وأول ما قاله من الأراء هو ما جاء به النحاة، فقال: «الكلام اسم عام يقع على القليل والكثير»[1] والقصد من قوله هذا التفريق بين الكلام والجملة وتحديد العام والخاص فيها لأن فيهما تقاربا كبيرا، وأشار إلى قول السيرافي من أن الكلام «مصدر والصحيح أنه اسم للمصدر والمصدر التكليم»[2] لقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [3]، وواصل تعليله قائلا: «ولعل أبا سعيد تسمح في إيراد ذلك وقاله مجازا فأما الكلم فإنه اسم يدل على الجنس، هكذا مذهب أهل النحو في الأسماء التي يكون فيها الاسم على صورتين: تارة بالهاء وتارة بطرحها، نحو تمر وتمرة، وبسرة وبسر، وما أشبه ذلك، على أن بعضهم قد جعل الكلم جمع كلمة، لكن الأحرى على مذهبهم ما ذكرناه»[4].

ويواصل الخفاجي كلامه عن التوجيه اللغوي لمصطلح الكلام والتكليم، فيقول: «والكمات جمع كلمة وقد حكى كلمة وجمعها كلم، وروى أبو زيد أن العرب تقول الرجلان لا يكتملان يريد: لا يتكلمان. وقد استدل على أن الكلام ليس بمصدر بأن الفعل المستعمل منه إنما هو كلمت، وفعلت يأتي مصدره في القياس على مثال التفعيل، نحو: كسرت تكسيرا، ولا

---

[1] : سر الفصاحة، ص 57.

[2] : نفسه، ص 57.

[3] : سورة النساء، الآية: 164.

[4] : سر الفصاحة، ص 57.

يأتي على لفظ آخر، وكل هذه التفسيرات النحوية جاءت بغية التمييز بين فعل المتكلم والمخاطب والتفاعل الحاصل بينهما، ذلك أن ضابط الكلام عند ابن سنان الخفاجي هو الانتظام والإفادة في إطار هوية اللغة والحديث عن حروف اللغة العربية دون غيرها من اللغات»[1]، فقال: «والكلام عندنا ما انتظم من هذه الحروف التي ذكرناها أو غيرها على ما بيناه من أننا لا نذكر إلا حروف اللغة العربية دون غيرها من اللغات»[2]. ووضح أن سبب اشتراطه الانتظام والإفادة راجع إلى زادة التوضيع وبيان معاني العبارات.

يقول في موضع آخر: «ثم قال فإن قلت: ألست تقول لمن نطق وأظهر كلمة واحدة قد تكلم وإن لم يكن ما ذكره جمل؟، قيل قال أقول: تكلّم، ولا أقول: قال كلاما، لأن اللام ما وقع على الجمل من حيث ذكرت أن كلاما إنما وقع على أن يكون اسما للمصدر ونائبا عنه وذلك المصدر موضوع للمبالغة والتكثير»[3].

وجاء هذا في سياق رده على أبي طالب أحمد بن بكر العبدي النحوي في حديثه عن التفرقة بين الكلام والجملة وعدد الألفاظ الواردة فيهما، ثم الدلالات المشحونة التي تنبئ عن فعل التكثير والمبالغة في وصف الكلام، ثم أردف قائلا: «ألا ترى أنك تقول: فعلت كذا وكذا. ولفظ كذا يحتمل أن يكون كثيرا وأن يكون قليلا، وبابه للقلة وإذا قال فعلت بتشديد العين لم يكن إلا للتكثير وزال عنه معنى القلة من أجل التشديد، فإذا كان الأمر على هذا وكان الكلام جاريا على لفظ فعل المبالغة وجب أن يراد به التكثير وأقر أحوال التكثير والتكرير أن يكون واقعا على جملة»[4].

---

[1] : ينظر التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي، ص 387

[2] : سر الفصاحة، ص 57.

[3] : نفسه، ص 59.

[4] : سر الفصاحة، ص 60.

يعتبر ابن سنان الفعل هو الصيغة المحددة للتفرقة بين الكلام وغيره من المصطلحات وخاصة اللغة.

بعد ذكر ابن سنان للجانب المعجمي والنحوي للكلام عندنا ما انتظم من هذه الحروف التي ذكرناها أو غيرها على ما بيناه من أننا لا نذكر إلا حروف اللغة العربية دون غيرها من اللغات وحدّه ما انتظم من حرفين فصاعدا من الحروف المعقولة إذا وقع ممن تصح منه أو من قبيله الإفادة»[1]، والملاحظ في هذا التعريف أن ابن سنان قد جعل الكلام في عدة دلالات تمثلت في:

- الكلام هو حروف منتظمة.

- الكلام هو حروف عربية.

- الكلام ما كان من حروف معقولة.

ثم أردف على ما سبق ذكر عنصر الزمن قائلا: «فأما الدليل على صحة هذا الحد فهو: أن الشروط التي ذكرناها فيه متى تكاملت صح الوصف بأنه كلام، ومتى اختل بعضها لم يوصف بذلك، وفيما ذكرناه تسمح، وهو قولنا لو أتى بحرف ومضى زمان وأتى بحر آخر، لم يصح وصف فعله بأنه كلام »[2].

ثم يدعم صحة ما ذهب إليه بعرضه لقضية النطق بحرف واحد التي تلغي صفة الكلام. فكما سبقت الإشارة الكلام عند ابن سنان ما انتظم من حرفين فصاعدا، يقول: «وكذلك النطق بحرف واحد متعذر غير ممكن إذ لا بد من الابتداء بمتحرك والوقوف على ساكن، وما

[1] : نفسه، ص 57.

[2] :سر الفصاحة، 58.

يمكن ذلك في أقل من حرفين الأول منهما متحرك والثاني ساكن، وهو الذي يسميه العروضيون سببا خفيفا»[1].

ثم تابع ابن سنان عرضه للشروط الواجب توافرها في الكلام كي يصح، فيضيف شرط الإفادة على ما سبق، في قوله: «وحده ما انتظم من حرفين فصاعدا من الحروف المعقولة، إذا وقع ممن تصح منه أو من قبليه الإفادة»[2]. وإن كان أهل اللغة قد اتفقوا على أن الكلام ما يجمع بين التلفظ والإفادة استناد على قول ابن مالك:« فالكلام – في اصطلاح النحويين- عبارة عما اجتمع فيه أمران: اللفظ والإفادة»[3].

وواصل ابن سنان تعليله لسبب إضافته لهذا الشرط قائلا: «واشترطنا في ذلك وقوع ممن يصح منه أو من قبيلة الإفادة لئلا يلزم عليه أن يكون ما يستمع من بعض الطيور كالببغاء وغيرهما كلاما، وقلنا القبيل دون الشخص لأن ما يسمع من المجنون يوصف بأنه كلام، وإن لم نصح منه الفائدة وهو بحاله، لكنها تصح من قبيله، وليس كذلك الطائر»[4] فالكلام عند ابن سنان إذن لا يرتبط بالصوت فحسب بل في الفائدة أيضا حتى يكتمل فهمه وتصح فصاحته.

ويفصل ابن سنان الخفاجي حديثه عن الكلام عند أهل اللغة فيقول أنهم قسموه إلى مهمل لم تستعمله العرب وليس بفصيح، ومستعمل كثر تداوله بين العرب، فقال: «والكلام على ضربين: فمهمل ومستعمل، فالمهمل هو الذي لم وضع في اللغة، التي قيل له مهمل فيها، لشيء من المعاني والفوائد، والمستعمل هو الموضوع لمعنى أو فائدة وينقسم إلى قسمين»[5]. ولم يخرج ابن سنان في شرحه وتمثيله عما جاء به سيبويه في (باب الاستقامة) وقد جعل ابن سنان

---

[1] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] : نفسه، ص 51.

[3] : التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي، 387.

[4] : سر الفصاحة، ص 58.

[5] : المصدر نفسه، ص 67.

المستعمل من الكلام في قسمان: «أحدهما: ما له معنى صحيح وإن كان لا يفيد فيما سمي به كنحو الألقاب، مثل قولنا: زيد وعمرو، وهذا القسم جعله القوم بدلا من الإشارة، والفرق بينه وبين المفيد أن اللقب يجوز ذلك فيه»[1].

والقسم الثاني فينظم المفيد من الكلام، وهو على ثلاثة أضرب[2] هي:

أحدهما: أن يبين نوع من نوع كقولنا: كون ولون.

وثانيهما: أن يبين جنس من جنس كقولنا: جوهر وواد.

وثالثهما: أن يبين عين من عين كقولنا: عالم وقادر.

يقول ابن سنان الخفاجي في تفصيل تقسيم الكلام المفيد إلى مجاز وحقيقة، ورده الكلام المفيد إلى الخبر «والمفيد من الكلام ينقسم إلى قسمين: حقيقة ومجاز، فاللفظ الموصوف بأنه حقيقة هو ما أريد به وضع لإفادته، والمجاز هو اللفظ الذي أريد به ما لم يوضع لإفادته، والكلام المفيد يرجع كله إلى معنى الخبر، ومتى اعتبرت ضروبه وجدت لا تخرج عن ذلك في المعنى، أما الجحود والتنبيه والقسم والتمني والتعجب، فالأمر في كونها أخبارا في المعنى الظاهر.

وأما الأمر فيفيد كون الأمر مريدا للفعل فمعناه معنى الخبر والنهي يفيد أنه كاره فهو أيضا كذلك، والسؤال والطلب والدعاء يجري هذا المجرى، والعرض هو سؤال على الحقيقة فأما النداء فقد اختلف فيه فيل معنى : يا زيد أدعو زيدا وهذا على الحقيقة خبر، وقيل المراد به: أقبل

[1] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] :نفسه، ص 67.

يا زيد وعلى هذا المعنى فهو داخل في قسم الأمر وأما التخصيص فهو في معنى الأمر لأنه ينبئ عن إرادة المخصص للفعل»[1].

إن تما أي عملية تواصلية يبنى على ثلاثة عناصر أساسية هي: المتكلم والسامع والرسالة وبعد المتكلم هو محور هذه العملية لأنه العنصر الفاعل والأساسي في بناء الخطاب، يقول: «وإذا كنا قد نبينا حد الكلام وحقيقته فينبغي أن نذكر حقيقة المتكلم، فنقول: إن المتكلم من وقع الكلام الذي بينا حقيقته بحسب أحواله من قصده وإرادته واعتقاده وغير ذلك من الأمور الراجعة إليه حقيقة أو تقديرا»[2].

فالمستشف من هذا القول هو إلمام ابن سنان بمقومات الكلام الناتج عن العملية الكلامية وما يحيط بها، كما فصل في حال المتكلم ومحاله ومصدره بقوله: «والكلام مما يوجب حالا للمتكلم، إذ لا طريق إلى إثبات ذلك من ضرورة أو إسدال، ولا فرق بين من ادعى في الكلام أنه يوجب حالا وبين من ادعى ذلك في جميع الأفعال كالضرب وغيره، وأيضا فإن الكلام يوجد في الصدى ونكون نحن المتكلمين»[3]وفي هذا الكلام إشارة إلى أن الكلام هو أصوات منتشرة يوجهها المتكلم إلى مخاطب واحد أو عدة حسب ما يتطلبه المقام.

وإذا ولجنا عالم الوقوف عند مصطلح الإعلام وحاولنا فسنجد أن «الكلام هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها»[4]، بحيث أن السامع لا يرجو من المتكلم شرحا أو زيادة لكون اللفظ الصادر عنه قد أفاد المعنى المرغوب به ما يجعل الفائدة شرطا من شروط الكلام، وهو الأمر نفسه الذي قال به ابن سنان كما يبق وأشرنا في تحديدنا شروط صحة الكلام والتي

[1] : سر الفصاحة: ص 67

[2] : نفسه، ص 67-68.

[3] : سر الفصاحة، ص 66.

[4] : القواعد الأساسية للغة العربية، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،دت، دط، ص 9.

تعد الفائدة إحداها، وإذا ما تأملنا جيدا في هذا القول فإننا سنجده يحتوي شرطا آخر من شروط سلامة الكلام ألا وهو تأليف الكلام من حروف منتظمة كما قال به الخفاجي، ذلك أن «المسموع المفهوم لا يكاد يكون إلا بحروف مؤلفة تدل على معنى»[1].

في حين نجد أن هناك فجوة بين ابن سنان والمحدثين فيما يخص أقسام الكلام، حيث نجد أنهم يولونها عناية كبيرة، في حين لم يلق الحديث في هذا الجانب تلك العناية التي وجدناها عند المحدثين، إذ لم يذكر هذه المسألة في كتابه.

يرى إبراهيم أنيس في حديثه عن أجزاء الكلام أن اللغويين العرب القدامى اتبعوا ما جرى عليه فلاسفة اليونان وأهل المنطق في جعل أجزاء الكلام ثلاثة (سم، فعل، حرف) وأن تعريفهم لكل من الاسم والفعل ناقص وليس جامعا إذ يقول أن تعريف الاسم لا يكاد ينطبق على كل الأسماء، كما وجدوا أنها ما ينطبق عليه تعريفهم الأفعال[2].

وقد اعتمد ابراهيم أنيس في تقسيمه الكلام على ثلاثة أسس، هي: المعنى، والصيغة، ووظيفة الكلام وخرج بهذا التقسيم إلى[3]:

1- الإسم: وينقسم إلى:

- ✓ الاسم العام: مثل شجرة، إنسان...
- ✓ العلم: مثل أحمد، فاطمة...
- ✓ الصفة.

[1] : المحيط في اللغة، العلامة الوزير الصاحب أبي عياد الطالقاني، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، دط، 20/1.

[2] : من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، دت، دط، ص 279.

[3] :من أسرار اللغة، ص 282-283-288-289.

2- الضمير : ويندرج تحته[1]:

- ✓ الضمائر المعروفة في كتب النحو.
- ✓ ألفاظ الإشارة.
- ✓ الأسماء الموصولة.
- ✓ الأعداد.

3- الفعل: وهو ما يفيد الحدث في زمن معين، ويضم كل ما بقي من ألفاظ اللغة، مما لم يشمله التعجب أو الظروف[2].

بينما يرى الدكتور مهدي المخزومي، أن أقسام الكلام هي: الفعل والاسم والأداة والكناية، وعرف الكناية بأنها كلمات مبهمة تطلق على الموجودات كلها، ولا تدل على معنى دلالة الاسم

على مسماه[3].

وقد تناول تمام حسان هو الآخر هذا الموضوع في كتابيه"مناهج البحث في اللغة" وكتاب اللغة العربية معناها ومبناها" أين بين أن النحاة القدماء قسموا أجزاء الكلام على أسس لم يذكروها لنا، وذكر تمام حسان الأسس التي يمكن أن يبنى عليها تنقسم الكلام، وهي: الشكل الإملائي المكتوب، والتوزيع الصرفي، والأسس السياقية، ومعنى الوظيفة والوظيفة الاجتماعية،

[1] : ينظر: إبراهيم أنيس وأنظاره الدلالية والنحوية، افتخار محمد علي الرمامنة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، 2004، ص 287.

[2] : ينظر: من أسرار اللغة ، ص 293.

[3] : في النحو العربي قواعد وتطبيق، مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، 1386هـ/1966م، دط، ص 46.

ورأى أنها الأسس الصالحة لأن تكون منطلقا لنقسم أجزاء الكلام في اللغة العربية[1]. وقسم الكلام إلى[2]:

1- اسم

2- فعل

3- ضمير ويضم:

- ✓ ضمير الشخص
- ✓ ضمير الصلة
- ✓ ضمير الإشارة

غير أن تمام حسان لم يقتنع بهذا التقسيم الرباعي الذي تبناه في كتابة منهاج البحث في اللغة فاقترح تقسيما آخر في سبعة أقسام هي[3]:

1- الاسم

2- الصفة

3- الفعل

4- الضمير

5- المخالفة

[1] : ينظر، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1990م ، دط ، ص196.

[2] : نفسه، ص 196-203.

[3] : اللغة معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دت، دط، ص 90.

6- الطرف

7- الأداة

3. القضية الثالثة: اللغة

بدأ ابن سنان الخفاجي حديثه في هذا الفعل بعرض التعريف المعجمي للغة باعتبار ما قالت به العرب فقدمها كالآتي: «اللغة عبارة عما يتواضع القوم عليه من الكلام ويكون توقيفا: يقال في لغة العرب: أن السيف القاطع حسام، أي تواضعوا على أن سموه هذا لاسم وتجمع لغة على لغات ولغين ولغون» فهو يجعل اللغة تواضعا اتفقت عليها الجماعة الواحدة المشتركة، فوضعت مفرداتها بالاتفاق على مسمى لكل معنى من المعاني قياسا على اللغات الأخرى لقوله: «والصحيح أن أصل اللغات مواضعة»[1]، كما بين أصل الاشتقاق في كلمة لغة ومثل ذلك بلغة بني تميم، قال: «وقد قيل في اشتقاقها أنها مشتقة من قولهم: لغيت بالشيء، إذا أولعت به وأغريت به وقيل: بل هي مشتقة من اللغو، وهو النطق، ومنه قولهم سمعت لواغي القوم أي أصواتهم ولغوت أي تكلمت وأصلها على هذا ألغوه، على مثال فعله فأما قولهم : لي لغة بني تميم كذا، وفي لغة أهل الحجاز كذا فراجع إلى ما ذكرناه، والمعنى أن بني تميم تواضعوا على ذلك و لم يتواضع أهل الحجاز عليه»[2].

فيعود ويؤكد على تواضع اللغة في آخر قوله، وينفي ابن سنان التوقيف بدليل« المفارقة بين الأسماء والمسميات والاستدلال»[3]، بمعنى أنه يصعب فهم الكلام وتوجهه والقصد منه بين المتكلم والمخاطب ما لم يكونا من بيئة لغوية واحدة فلا يفهم المخاطب الغرض الذي أراده

---

[1] : سر الفصاحة، ص 72.

[2] : سر الفصاحة: ص 72

[3] : التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي، ص 394.

المتكلم فيضل ذلك بأحد شروط صحة الكلام والتي هي الإفادة ويوضح ذلك قوله: «والصحيح أن أصل اللغات مواضعة، وليس بتوفيق، وإنما أوجب ذلك لأن توقيفه تعالى يفتقر إلى الاضطرار إلى قصده لأنه إن أحدث كلاما لم يعلم أنه أراد بعض المسميات دون بعض ولو اقترن بهذا الكلام إشارة إلى مسمى دون غيره. لأنا لا نعلم توجه الكلام إلى ما توجهت الإشارة إليه، وإنما يعلم ذلك بعضها من بعض بالاضطرار إلى قصده، وتخصص الإشارة بجهة المشار إليه بها هل الاسم للجسم أو لونه أو لغير ذلك من أحواله»[1]، وتابع ابن سنان تعليله باستناده إلى قوله عز وجل: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[2]. من منطلق أن الآية الكريمة تدل على مواضعة وقعت «بين آدم عليه وبين الملائكة على لغة سالفة ممن خاطبه الله تعالى على تلك اللغة وعلمه الأسماء ولو لا تقدم لغة لم يفهم عنه اسمه»[3].

وفي رأيه صواب ذلك أننا لم نكن نفهم بعضنا بعض ونعرف مقاصد غيرنا ما لم نكن نملك لغة سابقة، فالإشارة وحدها غير كافية فلو أردنا التعبير عن شيء يصعب الإشارة إليه أو استحضاره عجزنا عن أداء المعنى المطلوب في حين يكون عكس ذلك إذا ما استعملنا الحروف المتفق عليها فإنها تؤدي المعنى على نحو أحسن وأفصح من ذلك الذي تؤديه الإشارة يقول ابن سنان في موضع آخره وكما تحسن من أحدنا الإشارة في بعض الأوقات إلى ما يريده من غير إذن سمعي، فكذلك المواضعة على كلام يدل عليه، ومن فرق بينهما فمقترح، وإنما فزع العقلاء

[1] : سر الفصاحة، ص 72.

[2] : سورة البقرة، الآية: 31.

[3] : سر الفصاحة، ص 72-73.

إلى الحروف في المواضعة لأنها أسهل وأوسع ومع التأمل لا يوجد ما يقوم مقامها»[1]ومنه توجه الخفاجي للحديث عن مميزات اللغة وخصائصها والتي تمثلت في الآتي[2]:

1- كثرة الأسماء المسمى الواحد، أي اتساع اللغة العربية.

2- الإيجاز مع الاختصار ووفاء المعالي، ويقول في ذلك وهذه بلا شك فضيلة مشهورة، وميزة كبيرة لأن الغرض في الكلام ووضع اللغات جمال المعاني وكشفها، فإذا كانت لغة تفصح عن المقصود وتظهره مع الاختصار والاقتصار فهي أولى بالاستعمال»[3]، كما وضح كذلك خاصية الاتساع في اللغة العربية والتي تنفرد بها عن غيرها فالشيء الواحد فيها له عدة، كقوله في أسد: الفدوكس والضرغام والأيسم وجساس وغيرها من الأسماء التي تضاهي الخمسمائة، فيقول «وأما السعة فالأمر فيها واضح، ومن تتبع جميع اللغات لم يجد فيها على ما سمعته، لغة تضاهي اللغة العربية في كثرة الأسماء المسمى الواحد»[4] إلا أنه ومع هذه السعة المصطلحية فإنه مامن لغة أكثر إيضاحا للمعني وأخصر اللغات في إيصالها كلغة الضاد إذ أنه «ليس كلام ينقل إلى لغة العرب إلا ويجيى الثاني أقصر من الأول مع سلامةة المعاني، وبقائها على حالها، وهذه بلا شك فضيلة مشهورة وميزة كبيرة»[5] إضافة إلى غنى لغتنا العربية بالأساليب والفنون الإبداعية التي تضفي عليها روزنقا وبهاءا ذلك «أن لغتنا فيها من الاستعارات والألفاظ الحسنة الموضوعة، ما ليس مثله في غيرها من اللغات»[6].

---

[1] : سر الفصاحة، ص 73-74.

[2] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] : نفسه، ص 73-74.

[4] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] : سر الفصاحة: ص 73 ــ 74

[6] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- تجنب الثقل في الاستعمال والنطق بها والتلفظ مع سلامة النطق والخفة، فيبين ذلك بقوله: «وها هنا لها فضيلة أخرى، وهي أن الواضع لها إن كانت مواضعة تجنب في الأكثر كل ما يثقل على الناطق تكلفه والتلفظ به، كالجمع بين الحروف المتقاربة في المخارج وما أشبه ذلك واعتمد مثل هذا في الحركات أيضا فلم يأت إلا بالسهل الممكن. دون الوعر المتعب، ومتى تأملت الألفاظ المهملة لم تجد العلة في إهمالها إلا هذا المعنى وليس غيرها من اللغات كذلك»[1]، ويرد ابن سنان فضل اللغة العربية إلى أصحابها- العرب- وأخلاقهم وقيمهم كالكرم والجود والبأس والحمية والسفر والترحل والفكر والإيمان وغيرها من الخصال الحميدة التي يتصف بها العرب. فيقول: «ومما يدل على فضل هذه اللغة العربية أيضا، وتقدمها على جميع اللغات أن أربابها وأصحابها هم العرب الذين لا أمة من الأمم تنازعهم فضائلهم، ولا تباريهم في مناقبهم ومحاسنهم، وإن كانوا تواضعوا على هذه اللغة فلم يكن تنتج أذهانهم الصقيلة، وخواطرهم العجيبة إلا شيئا خليقا بالشرف، وأمرا جديرا بالتقدم، وإن كانت توفيقا من الله تعالى لهم، ومنة من بها عليهم، فلم يكن لديهم من العناية بشأنهم والتشييد من ذكرهم حتى ركبهم على حميد الخلال، وطبعهم على جميع الأخلاق، إلا على غاية لا يتعلق بشأوها ورتبة يقصر الطالبون عن بلوغها»[2].

4- الأساليب والفنون الإبداعية/ الضوابط والمعايير الصوتية.

وإذا ولجنا عالم المحدثين نجد للعلماء والمفكرين والباحثين اتجاهات وآراء حول نشأة اللغة، وقد تنوعت آراءهم، ورغم ذلك كله لم يصلوا إلى نتائج دقيقة، وسنعرض بعض الآراء التي حاول العلماء من خلالها تفسير نشأة اللغة، من بينها نظرية الإلهام، ونظرية التواضع والاصطلاح.

---

[1] : التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي ، ص 395.

[2] : سر الفصاحة ، ص 52.

فماريو باي يقول: «فيما يختص بنشأة اللغة وطبيعتها لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد»[1]، فمن هذا القول نستشف أن الدارسين المحدثين تباينت عندهم الآراء وتضاربت في هذا الشأن، ما بين أن ابن سنان قد اختلفت آراءه مع ما جاء به المحدثين في هذا المقام وسنحاول هنا عرض بعض النظريات والآراء التي حاول من خلالها العلماء تفسير نشأة اللغة، من بينها نظرية الإلهام ونظرية التواضع والاصطلاح.

ويعرف تمام حسان اللغة بأنها «جهاز صوتي يتم استعماله حسب قواعد معينة لا بد للمتكلم أن يطابقها عند الكلام. وكذلك لها جهاز حرفي يتكون من الصيغ، تخضع لقوانين محددة درجت عليها البيئة اللغوية، تلزم المتكلم من أن يراعيها ويخضع لضوابطها وقوانينها وأصولها»[2].

فأصحاب المذهب الأول دعوا إلى فكرة مفادها أن اللغة هي هبة من الله منّ بها على الإنسان وميزه به، مأكدين ذلك بالآية الكريمة في قوله عز وجل:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[3].

أي أن الله عز وجل هو من منح الإنسان اللغة.

وإذا ما استرجعنا عرضنا لما جاء به ابن سنان في قضية نشأة اللغة فإننا نجده يستدل بالآية الكريمة نفسها على قضية المواضعة في اللغة.

---

[1] : منهج البحث في اللغة و مناهج البحث اللغوي، ص110.

[2] : اللغة بين المعيارية والوصفية ، تمام حسان،عالم الكتب ،1421ه-2001م ،ط 4 ، ص

[3] : سورة البقرة، الآية: 31.

وفي الشأن نفسه نجد ابن عباس رضي الله عنه يؤكد أن اللغة هي إلهام من الله، بقوله: «علمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها»[1]

من خلال هذا التعريف نلحظ أن نظرة علماء اللغة ذلك أنهم ينظرون لها كل بحسب توجهه وبيئته من منطلق أن اللغة اجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر، زيادة على اختلاف النظريات التي قيلت في نشأتها، فعلى خلاف ما قال به ابن سنان في تعريفه للغة وتأكيده على أنها مواضعة.

بينما يرى أصحاب المذهب الثاني، أن اللغة اصطلاح وأنها من طبيعة الإنسان معللين ذلك أن الطفل يتعلم اللغة في بداية حياته من أسرة والبيئة المحيطة به، ما يجعلها –اللغة– ملكة لدى الإنسان.

كما نجد مذهب آخر يقول بأن أصل اللغة هو المحاكاة، ذلك أن الإنسان القديم كان يحاكي أصوات الطبيعة ومنها تعلم الكلام، من ذلك قولهم حفيف لصوت الأفعى، وخرير لصوت جريان المياه، وغيرها من الأسماء.

إلا أننا نجد أن المحدثين قد تناولوا قضة اللغة من عدة جوانب لم نجدها عند ابن سنان من بينها قضية وظائف اللغة أين نجد أن الدارسين المحدثين قد قالوا أن اللغة هي أكثر من مجرد وسيلة الاتصال والتعبير عن الأغراض والمكنونات، بل لها وظائف عدة مثل: الوظيفة التعبيرية، الوظيفة النفسية الوظيفية الاجتماعية، والوظيفة الشعرية والتواصلية والإجرائية وغيرها الكثير.

ومما لا شك فيه أن ابن سنان الخفاجي قد اتفق مع الدارسين المحدثين في حديثه عن خصائص اللغة العربية ومميزاتها.

---

[1] : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 110.

يقول عبد الرزاق السعدي عنها: «العربية لغة كاملة معجبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل كلماتها خطوات النفوس وتكاد تنجلي معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير، ونبضات القلوب ونبرات الحياة»[1]وفي هذا القول استبادة كبيرة واعتراف بقيمة اللغة العربية التي لا تضاهيها أي لغة وتميزت اللغة العربية عن غيرها بكونها لغة معربة مشتقة كثيرا المفردات غزيرة المعاني.

4. القضية الرابعة: الحروف:

بعد أن خلص ابن سنان الخفاجي من الحديث عن الصوت وما يلحق به، انتقل للتفصيل في الحروف وما ينطوي تحتها، حيث نجد أنه لا يعني بالتفريق بين مصطلحي الصوت والحرف الشيء الذي نلحظه من آرائه التي صرح بها في كتابه، والملاحظ كذلك أن ابن سنان الخفاجي قد سار على مسار من سبقه من العلماء في تطرقه لمعاني الحرف في مختلف مجالاته بمنئى عن التيارات الفلسفية التي أوردها علماء اللغة والبلاغة والمعجم والقراءات، وانتهى إلى ما انتهوا إليه من أن الحرف اللغوي هو «حد منقطع الصوت»[2].

ولعل من أبرز ما اهتم به ابن سنان في هذا الفصل هو سبب تسمية الحرف بالحرف، أين تبرز بشدة شخصيته العلمية ويبدوا تشبعه العلمي واضحا للعيان فهو هنا قد خاض في دراسته الحرف دراسة علمية دقيقة مستعينا في ذلك بما نهله من سابقيه ونخص بالذكر صاحب الكتاب وكذا صاحب سر الصناعة.

[1] : إبراهيم أنيس و أنظاره النحوية و الدلالية ، ص 259.

[2] : ديوان ابن سنان الخفاجي، ص 24.

وبعد الاطلاع على جملة التعريف التي أوردها ابن سنان الخفاجي في تعريفه للحرف والتي كانت لغوية في عمومها، إذ نجده قد استوحى البعض منها من علماء المعاجم والقراءات فبدأ فصله ببيان حد الحرف كما يلي[1]:

1- استعمال مصطلح الحرف بين التوجيه والاستقراء والتعليل:

ويحدد في هذا السياق المعنى المتداول لمصطلح الحرف يقوله: «الحرف في كلام العرب يراد به حد الشيء وحدته ومن ذلك حرف السيف إنما هو حدّه وناحيته، وطعام حريف: يراد به الحدة، ورجل محارف أي محدود عن الكسب»[2].والحرف لغة هو طرف الجبل[3]، وغيرها من التوجهات اللغوية لمصطلح الحرف.

والتعريف الأقرب والذي يهمنا في هذه الدراسة هو قوله: «وسميت الحروف حروفا لأن الحرف حد منقطع الصوت وقد قيل إنها سميت بذلك لأنها جهات الكلام ونواح، كحروف الشيء وجهاته[4] وهذا التعريف يتقاطع مع تعريفه للصوت فقال: « والصوت يخرج مستطيلا ساذجا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا»[5].

ونستنتج من هذين التعريفين أن ابن سنان قد أشار إلى أن الحرف هو نهاية الصوت، وذهب بعد ذلك إلى تأصيل أصحاب القراءة لمعنى الحرف، من ذلك إشارته لقراءة أبي عمرو قائلا: «فأما قولهم في القراءة: حرف أبي عمرو من القراء وغيره، فقيل فيه: إن المراد أن الحرف

---

[1] : ينظر: التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي، 383-384.

[2] : سر الفصاحة، ص 49.

[3] : التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي، ص 385.

[4] : سر الفصاحة، ص 49.

[5] : نفسه، ص 48.

كالحد ما بين القرائتين»[1] وذلك بمعنى تمييز قراءة ما عن أخرى، يقول: «والمعنى أن القارئ يؤدي حروف أبي عمرو بأعيانها من غير زيادة ولا نقصان»[2]، والمقصود بالحرف هنا هو الوضوح في الأداء الصوتي والبيان في القراءة.

2- مصطح الحرف وعلل الاختيار عند انب سنان:

عقب ابن سنان الخفاجي على استعمالين للفظة الحرف، أولهما قول أهل العربية (حروف المعاني) وثانيهما قول العرب في لغتها (حروف المعجم)[3]، والأصح أن مناقشة ابن سنان لاختلاف التسمية جاء من باب التعليل لهذه المسميات «وهو أمر تباحثته الدراسات اللغوية الحديثة: إذ يعدّ الاختلاف في التسمية أحد مظاهر الحدث اللساني التي تستعمل على توجيه المعاني في سياقات مختلفة»[4]، وقد وضح ابن سنان عن رفضه وضع أهل العربية لتسمية (حروف المعاني) معللا بأنه من الأجدر قولهم (أدوات المعاني)، يقول: «أما تسمية أهل العربية أدوات المعاني، نحو: من وقد، حروفا فإنهم زعموا أنهم سموها بذلك، لأنها تأتي في أول الكلام وآخره فصارت كالحروف والحدود له، وقد قال بعضهم: إنما سميت حروفا لانحرافها عن الأسماء والأفعال، وهي عندنا نحن كلام لأنها منتظمة من حرفين فصاعدا»[5].

وقد نظر ابن سنان في هذا القول لحروف المعاني من زاويتين[6]:

-أولهما: موقعها الذي تحتله في الجملة، فقد تشغل بدايتها وأطرافها.

---

[1] : سر الفصاحة، ص 49.

[2] : نفسه، ص 49.

[3] :نفسه، ص 50.

[4] : التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان، ص 384.

[5] : سر الفصاحة، ص 50.

[6] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

- ثانيهما: مفهوم الحرف في جانبه النحوي، فمعلوم أن الحرف يطلق على كل ما دلّ على معنى في غيره، وهذا ما نحا إليه النحاة قديما وحديثا على العموم، فالحروف التسعة والعشرون هي أصل تراكيب الكلام، وتعريف ابن سنان يدل على الاختلاف الحاصل بين (الاسم، والفعل، والحرف)، وقد لقي هذا القول قبول من قبل الدارسين كون الحروف توصل معاني الأفعال الأسماء، وعلته في ذلك قوله: «وهي عندنا نحن كلام لأنها منتظمة من حرفين فصاعدا»[1]. وليس يمكن تعليل ما ذهب إليه هنا إلا إشارته لدلالة الحرف على معنى خاص في نفسه بعيدا عن كل بنية تركيبية.

ثم عمد ابن سنان إلى الإشارة إلى تسمية العرب بحرف المعجم بقوله: «وأما قولهم للحروف التي في نقد العرب: حروف المعجم، فليس بصفة للحروف، لأن ذلك يفسد من وجهين»[2]. وهذا ما يدل على رفضه لها وذكر وجهي فسادها وهما[3]:

- أولهما: امتناع وصف النكرة بالمعرفة.

- ثانيهما: إضافة الموصوف إلى صفته، والصفة عند النحويين هي الموصوف في المعنى، ومحال أن يضاف شيء إلى نفسه.

بعدها انتقل إلى تفصيل هذه الظاهرة فذكر تسمتها عند بعض أهل العربية، مستهلا ذلك برأي أبي العباس المبرد الذي جعل لفظته المعجم كالإعجام، في قوله: «ذهب في ذلك إلى أن المعجم بمنزلة الإعجام، كما تقول: أدخلته مدخلا، أي إدخالا»[4]. ثم قاس ابن سنان هذا القل

---

[1] : سر الفصاحة، ص 50.

[2] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] : نفسه، ص 50-51.

[4] : نفسه، ص 51.

على قول الأخفشي توجيه القراءة في قوله تعالى:﴿ ۞ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [1]، حيث جعل لفظة مكرم بفتح الراء أي من إكرام، فكأنهم قالوا- على هذا الوجه- حروف الإعجام»[2]، فكانت لفظة (معجم) على وزنها، فأخذ علماء العربية لفظة معجم من الإعجام كمكرم من الإكرام، وعرض ابن سنان الخفاجي بعد ذلك لرأي ابن جني الذي رفض هو الآخر قول العرب (حروف المعجم) قياسا على قولهم (صلاة الجامع) ويكون التقدير فيها (صلاة المسجد الجامع)، لأن صيغة (حروف المعجم) لا يمكن أن تقاس على الصفة التي حذف على موصوفها[3].

غير أن ابن سنان خالف ابن جني في هذا الرفض، بقبوله وليس عرضه لهذه الآراء إلا لإبراز اختلاف زوايا النظر حول هذه التسمية، يقول ابن سنان: «وليس يبعد عندي ما أنكره أبو الفتح بل يجوز أن يكون التقدير: حروف الخط المعجم، لأن الخط العربي فيه أشكال مدققة لحروف مختلفة عجم بعضها دون بعض ليزول اللبس. وقد يتفق في غيرها من الخطوط أن تختلف أشكال الحروف فلا يحتاج إلى النقط، فوصف الخط العربي بأنه معجم لهذه العلة»[4]. فهو قد تناول هذه القضية من باب التسمية لا الجانب النحوي.

بعد ذلك توجه للحديث عن الحروف ومقاطع الصوت والعلاقة بينهما، وفصل في مخارجها وبين أهم ذلك كله بالحديث عن كيفية حدوث الصوت وتشكل الحرف، فقال: «والحروف تختلف باختلاف مقاطع الصوت حتى شبه بعضهم الحلق الناي، لأن الصوت يخرج

---

[1] : سورة الحج، الآية 18.

[2] : سر الفصاحة، ص 51.

[3] : نفسه، ص 51.

[4] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

منه مستطيلا ساذجا، فإن وضعت الأنامل على حروقه ووقعت المزاوجة بينهما سمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك الصوت في الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة، سمعت الأصوات المختلفة التي هي حروف»[1].

فتعبير الخفاجي عن هيئة حدوث الصوت تعبير وظيفي يثبت قدرة العربي على استيعاب أبعاد التواصل وأهم عناصره الأساسية التي تستدعي تغيير الصوت وعليه تغيير الحرف بمجرد تغير الموقف والسياق والقصد العام للكلام. وهو تفريق واضح بارع اهتدى إليه ابن جني قبله في إدراك هيئة الوصف الأصوات الصامتة وحروف المد[2].

فبين الحرف والصوت تمييز «فالصوت هو الذي نسمعه ونحسه والحرف هو الرمز الكتابي الذي يعبر عن صوت معين أو مجموعة أصوات لا يؤدي تبادلها فيما بينها في الكلمة إلى اختلاف في المعنىوالحر بذلك يكون أهم من الصوت لأنه يضم من الأصوات ما ينسب إلى رمز معين، والصوت يكون أحد أفراد تلك المجموعة وهذه التفرقة بين الصوت والحرف تطابق وما ذهب إليه المحدثون من علماء الأصوات أما علماء العربية القدامى فإنهم كانوا يستخدمون الكلمتين بمعنى واحد أحيانا ويفرقون أحيانا تفرقة تختلف عما يعنيه المحدثون بهما»[3] ويمكن استخلاص رأيه فيما يلي:

عد ابن سنان الصوت الإنساني ساذجا ما لم يعترضه عارض من أعضاء النطق لدى المتكلم، والذي به تتحدد هيئة الحرف ونوع الصوت وهذا هو تصوره لكيفية حدوث الصوت وتشكل العملية التواصلية.

---

[1] :سر الفصاحة، ص 52.

[2] : ينظر: علم الأصوات، ص 162.

[3] : التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي، ص 385.

وفي حديثه عن عدد الحروف اللغة العربية والتي هي تسعة وعشرون حرفا ذكرها الخفاجي جميعا مرتبة على المخارج[1] وأول ما ذكره الهمزة، وجمعها في قوله: «فحروف العربية تسعة وعشرون حرفا، وهي: الهمزة والألف والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء، والقاف والكاف، والضاد والجيم والشين والياء، واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والتاء والفاء وثاء والباب والميم والواو فهذا ترتيبها على المخارج»[2].

وهذا الترتيب مشابه لترتيب سيبويه، كما يذكر قول أبي العباس المبرد الذي لا يعتمد بالهمزة وعدد الحروف عنده ثمانية وعشرون حرفا وعلته أن الهزة لا صورة لها، فيقول: «واعتلاله بأن الهمزة لا صورة لها مستكره غير مرضي، لأن الاعتبار باللفظ دون الخط وهي ثابتة فيه، ولو أن العرب لا خط لها كغيرها من الأمم لم يمنع ذلك من الاعتداد بجميع هذه الحروف المذكورة»[3].

وهذا القول مرفوض عند ابن سنان، وقد سبقه في ذلك ابن جني الذي ذكر في كتابه سر صناعة الإعراب أن عدد حروف العربية تسعة وعشرون كما في ذلك الهمزة والسبق في ذلك للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي يعد أول من رتب الحروف العربية على نحو صوتي الذي يعتمد فيه على معيار النطق والسمع لتحديد مرتبة الحرف ومخرجه.

ثم عرج للحديث حول ما يلحق الحروف مما يحسن استعماله في الفصيح من الكلام وبعضها لا يحسن فقال: «فالتي تحسن ستة أحرف وهي النون الخفيفة التي تخرج من الخيشوم والهمزة المخففة ألف الإمالة وألف التفخيم وهي التي بها ينحا نحو الواو وذلك كقولهم في

---

[1] : سر الفصاحة، ص 52.

[2] :نفسه، ص 52.

[3] : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الزكاة: الزكاوة، والصاد التي كالزاي نحو قولهم: في مصدر مزدر والشين التي كالجيم نحو قولهم في أشدق أجدق، والحروف التي لا تستحسن ثمانية وهي الكاف التي بين الجيم والكاف نحو كلهم عندك والجيم التي كالكاف نحو قولهم الرجل ركل، والجيم التي كالشين نحو قولهم خرشت والطاء التي كالتاء كقولهم طلب والضاد الضعيفة كقولهم في أثرد أضرد والصاد التي كالسين في قولهم صدق والظاء التي كالتاء كقولهم ظلم والفاء التي كالباء كقولهم فرن»[1].

فالتي تستحسن أشار إليها سيبويه وذكر أنها كثيرة ويستحسن الأخذ بها في قراءة القرآن والأشعار[2] وقد عالجها ابن سنان بطريقة تثبت استعمالها في اللغة وورودها في لغة القرآن وقراءته.

ويعد استيعاب أهل العربية لظواهر هذه الأصوات ووقعها على السمع وحاجة المتكلم لها في كثير من المواضع إثبات لمدى أهميتها من خلال إدراكها وتفصيلها على ذلك النحو: إذ أن الحروف الستة هي عبارة عن صور ثانوية فرعية للحروف الأصلية الموضوعية في اللغة العربية، حالها حال الهمزة التي حدث فيها الاعتراض بينهم، وهو الأمر الذي ناقشته الدراسات الحديثة أيضا في ظل نظرية الفونيم فهذه النظرة إلى الفونيم يمكن أن تسمى نظرة عضوية تركيبية لأنها تعترف بكلمة عائلة الأصوات[3].

وأما الحروف غير المستحسنة التي لم تلق قبولا من قبل أهل العربية وقد يبق وذكرها وهي ثمانية، وقد قال فيها ابن جني بأنها: «لا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة ولا

---

[1] : سر الفصاحة، ص 54.

[2] : التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي، ص 386.

[3] : ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 125.

يصح أمر هذه الحروف الأربعة عشرة اللاحقة للتسعة والعشرين حتى كملتها ثلاثة وأربعون إلا بالسمع والمشافهة»[1].

واكتفى بذكرها دون شرحها والأمر نفسه قام به ابن سنان الخفاجي وعلته في ذلك قوله: «فأما الثمانية اللاحقة بهذه فهي الحروف المستحنة، وفي شرح أحوالها طول، فتركناها لذلك، لا سيما وليست الحاجة إليها كهذه إلا أن المشافهة تأتي عليها وتوضح لك حالها»[2] لكنه مثل لكل صوت قصد بيان هيئتها وجهات استعمالها عند العرب وتبرز هيئة نطقها وصفتها وذلك لما لها من أهمية لدى الباحث في فصاحة العرب.

ولما كان الحرف هو البنية الأساسية في تأليف العناصر اللغوية مفردة أم جملة فإنه لقي اهتماما كبيرا من طرف الدارسين والمحدثين كذلك وفيما يلي سنعرض لبعض آراء العلماء المحدثين حول الحروف العربية وما يتبعها، وتقابلها مع ما سبق وأشرنا إليه من أقول ابن سنان الخفاجي ونحدد مواضع الاتفاق والافتراق بينهما.

كما سبق وأشرنا أن ابن سنان عالج قضية تسمية الحروف(بحروف المعجم) و(حروف المعاني) أين وجدناه يفضل استعمال مصطلح (أدوات المعاني) دون (حروف المعاني) معللا ذلك غير أنّ المحدثين يطلقون على «كل كلمة مستقلة لها معنى وظيفي تعرف به وتساق له وتنسب إليه كالابتداء والانتهاء، والاستفهام والتمني والنفي، والإيجاب وغير ذلك مما يؤدى ضمن وظيفة الربط بين المفردات اسم حروف المعاني»[3].

[1] : سر صناعة الإعراب، 46/1.

[2] : سر الفصاحة، ص 51.

[3] : الحروف والأصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين، هادي نهر ،كلية الآداب ، جامعة المستنصرية ،ص 207.

ويسمون كل ما كان «حروفا غير مستقلة عن أصول الكلمات ولكنها تمتزج معها بحيث تساهم في بناء معنى المفرد، أو بناء معنى المركب، وهذه الحروف رموز الأصوات معينة متباينة فيما بينها بحروف المباني»[1].

ولما كان كل حرف صوت فقد أفاض العلماء في «دراسة هذه المادة اللغوية الصوتية وعرفوا أن لكل حرف صوته صفته ومخرجا»[2] غير أن هؤلاء -المحدثين- قد تناولوا الحروف لكونها أصغر وحدة صوتية دالة وأطلقوا عليها اسم "الفونيم" واهتموا بدراسة مخارجها و صفاتها ويتطرقون لكل حرف على حدة لمعرفة ما يسميه العلماء اليوم بالسمات المميزة الوحدات الصوتية»[3]. باعتبار الحرف وحدة صوتية كما سبق وأشرنا.

[1] : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] : دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2004، ط16 ،ص 141.

[3] : الحروف والأصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين، ص 216.

خاتمة

لقد عالج البحث عدد من قضايا التفكير اللساني عند ابن سنان الخفاجي، نحصرها في التالي:

- ✓ يعدّ كتاب سر الفصاحة أحد أعظم الكتب التي كتبت في القرن الخامس الهجري، فهو يمزج بين الآداب واللغة والنقد والبلاغة وهو فريد من نوعه من حيث الطرح ومنهجية العرض قدم فيه ابن سنان طرحا لرؤيته للفصاحة والبلاغة والنقد.
- ✓ يدل تقسم ابن سنان لقضايا التفكير اللساني في كتابه بداية من الصوت باعتباره بنية تحية باللفظ مارا بالحرف ومخارجه وصفاته على وعيه الكبير ومعرفته البالغة.
- ✓ إنّ تركيز ابن سنان على الجانب الصوتي في الرؤية والطرح، ينم عن أبعاد لغوية عديدة تتقاطع كثيرا ومعطيات علم اللغة الحديث الذي يركز بنية الصمت ثم الكلمة فالتركيب وصولا إلى النص.
- ✓ في نطاق عرض ابن سنان لقضية الكلام دليل على اهتمامه بعملية التواصل حيث نراه يعنى بالمتكلم ولغته وقدراته الأدائية وكفاءته، وكذلك اهتمامه الكبير بالغرض المنشود من العملية العلمية حتى يصح تسمية الكلام كلاما.
- ✓ تحدث ابن سنان عن قضية اللغة وبين الجانب المعجمي لها إضافة إلى ذكره مسألة نشأتها وسماتها وخصائها.
- ✓ كما ذكر الحروف العربية وفصل في مخارجها وصفاتها.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **المصادر والمراجع:**

➢ القرآن الكريم.

1. ابراهيم أنيس وأنظاره الدلالية والنحوية، افتخار محمد علي الرمامنة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، 2004.
2. ابن سنان الخفاجي وجهوده البلاغية من خلال كتاب سر الفصاحة.
3. الأصوات اللغوية لعلي الخولي ، دار الفلاح ، الأردن ، 1990م ، دط
4. الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1998.
5. البلاغة الواضحة البيان المعاني والبديع للمدارس الثانوية، علي الجازم ومصطفى أمين، دار المعارف، دط، دت.
6. البلاغة في سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، عبد الحكيم يحي حاج عبد الله، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في البلاغة والنقد، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، كلية اللغة العربية، 1400هـ- 1980م.
7. بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي، محمد عبد المنعم خفاجي، المطبعة الفاروقية الحديثة، 1329هـ-1950م، ط1.
8. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو الجاحط، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، دط، دت.
9. تسهيل البلاغة، ابن عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشري، رفع عبد الرحمن النجدي، دار الإيمان، الاسكندرية، 2006، دط.
10. التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة عند ابن سنان الخفاجي.
11. جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق شربيني شريدة، در الحديث، القاهرة، دط، دت.
12. الحروف والأصوات اعربية غفي مباحث القدماء والمحدثين ، هادي نهر ،كلية الآداب جامعة المستنصرية.
13. دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار اللم للملايين، بيروت، لبنان، ط16، 2004.

14. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، صححه محمد رشيد رضا، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت، دط.
15. ديوان ابن سنان الخفاجي، تحقيق عبد الرزاق حسن، المكتبة الإسلامية، 1491هـ-1982م، ط1.
16. سر الفصاحة، أبي محمد بن عبد الله ابن سنان الخفاجي، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، كتاب ناشرون، بيروت،دط، 2010.
17. سر صناعة الإعراب ،ابن جني ،تحقيق حسن الهنداوي ، الرياض ، دت، دط ،1
18. الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو الحسن بن عبد الله بن مسهل العسكري، تحقيق مفيد فصيحة، بيروت، لبنان، ط2، 1409هـ، 1989م.
19. علم الأصوات، كمال بشر، دار الغريب للطباعة والتوزيع، دت، دط.
20. الفصاحة واللحن في اللغة العربية، كريمة أوشيش، مركز البحث العلمي والتقني لتصوير اللغة، دت، دط.
21. في النحو العربي قواعد وتطبيق، مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، 1386هـ/1966م، دط.
22. القاموس المحيط، الفيروز الأبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، دت.
23. قوات الوفيات، محمد شاكر بن أحمد الكتبي(764)، تحقيق علي محمد بن عوض الله وعادل أحمد المحمود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ط1.
24. القواعد الأساسية للغة العربية، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،دت، دط.
25. الكافي في علوم البلاغة العربية – المعاني،البيان، البديع- عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتوي، الجامعة المفتوحة 1993م، دط.
26. لسان العرب، ابن منظور الافريقي، تحقيق عبد العلي كبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
27. اللغة بين المعيارية والوصفية ، تمام حسان ،عالم الكتب ،1421هـ-2001م ،ط 4.
28. اللغة معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دت، دط.

29. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير.
30. مجلة التربية والعلم، من مقال بعنوان: "التفكير اللساني في كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي"، معن توفيق دحام، المؤتمر الدولي السادس لقسم اللغة العربية، جامعة الموصل، 2012.
31. المحيط في اللغة، العلامة الوزير الصاحب أبي عياد الطالقاني، تحقيق: محمد عثمانن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، دط.
32. مدخل إلى البلاغة العربية، يوسف أبو العدوس، عمان، ط1، 2007
33. المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، لرمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 1417هـ-1997هـ ،ط 3.
34. معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت 626هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، ط1.
35. المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد أبادي، ت: أمين الخولي، 1961م، 1381هـ، دط.
36. المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، خوري السيد عبد ربه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 2005.
37. مقاييس الفصاحة في القرن الخامس الهجري، محمود عبد الله الجفال، الجامعة الأردنية، دت.
38. من أسرار البلاغة.
39. من أسرار اللغة، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، دت، دط.
40. مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990م، دط.
41. النقد وقضاياه عند الامام ابن سنان الخفاجي كتاب سر الفصاحة أنموذجا، قصاب وهيبة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 1437هـ-1438هـ/ 2016م-2017م.
42. النقد وقضاياه عند الامام ابن سنان الخفاجي كتاب سر الفصاحة أنموذجا

43. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1900م، دط.

الإهداء

المقدمة .....أ-ج
المدخل 1-13
الفصل الأول: التعريف بابن سنان الخفاجي 15-35
أولا : التعريف بابن سنان الخفاجي 15
1 –ا سمه و نشأته 15
2 – حياته العلمية 16
3 – سمات المؤلف العلمية 18
4 – وفاته 21
5 – آثاره العلمية 21
ثانيا : التعريف بكتاب سر الفصاحة 22
1 – تسمية الكتاب ب "سر الفصاحة " و الغرض من تأليفه 22
2 – محتوى الكتاب 23
3 – منهج كتاب سر الفصاحة 30
4 – تحقيقات الكتاب 35
الفصل الثاني : قضايا الدرس اللساني في كتاب سر الفصاحة 36-70
1 – القضية الأولى : الأصوات 37
2 – القضية الثالثة : الكلام 46
3 – القضية الثالثة : اللغة 54
4- القضية الرابعة: الحروف 60
الخاتمة 70
قائمة المصادر و المراجع 72
الفهرس 77

ملخص :

هذا البحث محاولة لإبراز مظاهر التفكير اللساني عند إبن سنان الخفاجي في كتابه "سر الفصاحة" و مقاربته بنضيره الحديث تمهيدًا لدرس لساني يجمع بين الثرات و المعاصرة ، مع الوقوف على أهم المصطلحات و المفاهيم الأساسية .

الكلمات المفتاحية : الفصاحة ، البلاغة ، ابن سنان الخفاجي ، الصوت ،الكلام ، اللغة ، الحرف .

Résumé :

Cette recherche est une essayer de clarification les pointes de repré de la pensée linguistuque dans Sirr al-Fasahah de Ibn Sinan alKafaji et la rencontrer avec la linguistique modarne et se tenir sur les termes de base .

les mots clés: Eloquence , Rhétorique , Ibn Sinan al-Khafaji , Son , discours , Langue

Abstract:

This research it ,s a try to clarify the features linguistic thinking of Ibn Sinan al-Kafaji and reconter with the modarn linguistic thinking , and explained the the basic therms .

Key words: Eloquence ,Rhetorique , Ibn Sinan al-Khafaji, Voice ,Talk , Language